نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

عدد: Issue No: 68

نيسان April 2013

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

البشارة هي بدء الخلاص

والصليب هو قمة الخلاص

اللّه محبّة

لكنه أخلى نفسَه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس

وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسانٍ ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.

محتويات العدد

2	راعينا الحنون
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	بشارة العذراء مريم المتروبوليت إيروثيوس
8	الجحيم والنعيم جوارجيوس ميتالينوس
9	الربّ في مجد
10	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
12	النبيّ الهارب القديس كيرللس الإسكندري
14	لماذا أموت
15	كيف تشهد للربّ القديس يوحنا الذهبيّ الفم
16	إرفعوا الحجر
18	العظات ١٨ لطالبي العماد القديس كيرلّس الأورشليمي
19	سلطان الملائكة
20	الصليب الكريم المحيي
21	العهد القديم (٥٢)
22	شعراء النصرانيّة
23	الراهب الجرجاني

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

راعينا الحنون

إنه لمن العجيب جداً أن أنثى الذئب تلد خمسة أو ستة من الذئاب الشرسة. بينما النعجة تلد حَمَلاً واحداً فقط. خمسة من الوحوش المفترسة مقابل واحد من الخراف الوديعة. خمسة من الوحوش السريعة الشرسة آكلة اللحوم مقابل واحد من الخراف البطيئة الهادئة آكلة العشب.

فكيف أمكن أن يكون هناك حملان إلى يومنا هذا ؟ إنها لا شكّ تحيا في حماية ربها وراعيها الذي قال لتلاميذه القديسين: «ها أنا أرسلكم مثل حُملان بين ذئاب» (لو ١٠:٣). لقد أرسلهم كحملان في وسط ذئاب ولكنّه تعهدهم بالحماية. فهو الذي وعد بذلك قائلاً:

«أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح **يبذل نفسه** عن الخراف. أما الذي هو أجير وليس راعياً الذي ليست الخراف له **فيرى الذئب** مُقبلاً ويترك الخراف ويهرب ، فيخطف الذئب الخراف ويبدّدها» (يو ١٠:١١-١٢). «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبديّة ولن تهلك إلى الأبد ولا **يخطفها** أحدٌ من يدي» (يو ١٠:٢٧-٢٨).

عزيزي

إن مسيحك يحميك ويرعاك وسط ذئاب العالم. ولولا أنه يكون معنا حين يهاجموننا لابتلعونا ونحن أحياء. كما يذكر صاحب المزامير «لولا أنّ الربّ كان فينا، عندما قام الناسُ علينا اذاً لابتلعونا ونحن أحياء» (مز ١٢٣:٢-٣). هو يحميك من ذئاب **مملكة الظلمة** التي تريد افتراسك. لن يخطفك أحد من يده. فهو **راعينا الحنون**. كل ما عليك أن تسلّم له حياتك ليحملك على الأذرع الأبديّة.

اسند رأسك على صدره الحنون.

وإن شردت يوماً وجمحت بك قدماك بعيداً عنه إلى مسالك منحدرة. وضللت الطريق وسرت في مسالك وَعرَة فوق القمم العالية. فلا تيأس، فهوذا راعي الخراف يطمئنك قائلاً: «أي إنسان منكم له مئة خروف وأَضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده وإذا وجده يضعه **على منكبيه** فَرِحاً ، ويأتي إلى بيته ، ويدعوا الأصدقاء والجيران قائلاً **افرحوا معي** لأني وجدتُ خروفي الضال ... هكذا يكون **فرحٌ في السماء** بخاطىء واحد يتوب» (لو ١٥:٣-٧).

إنّ اللّه يحبنا ويعرف أننا قصيرو النظر ، ولا **نُقَدِّر** المهاوي والمزالق الكثيرة المحيطة بنا. ويعلم كم يغرّر بنا بريق القمم العالية والمواقع المرتفعة ، فلا نرى **الهوّة السحيقة** التي تحت أقدامنا. لذلك يرثي لضعفنا ويظلّ يبحث عنّا فوق الجبال وخلف التلال حتى يجدنا ويحملنا على منكبيه فَرِحاً. يحملنا على الأذرع الأبديّة وسط أفراح ساكني السماء.

إن كلمة (لا تَخَف) وردت في الكتاب المقدّس (٣٦٦ مرّة) بعدد أيام السنة الكبيسة ..فالرب يقول لك مع كل صباح (لا تَخَف) لا تَخَف لأن شعرة من رأسك لا تسقط بدون إذنه. لا تَخَف من الأسود الضارية المحيطة بك لأنه سيرسل ملاكه لسدّ أفواهها.

لا تَخَف من أتون نـار العالم لأنه سيتمشّى معك في وسط الأتون ليحوّله إلى منتزه. لا تَخَف لأنك منقوشٌ على كَفّيه ولن يخطفك أحد من يده. لا تَخَف لأن راعيكَ الحنون يحملك طول الطريق.

ربي يسوع أنت الذي تحمل الكُلّ دون أن تَكِلّ ، إحملني على أجنحة الروح إلى سمائك.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد بشارة والدة الإله العذراء مريم

«اليوم رأس خلاصنا ، وظهور السرّ الذي منذ الدهور، فإنّ ابن اللّه يصير ابن البتول ، وجبرائيل بالنعمة يبشر، فلنصرخ نحن معه نحو والدة الإله ، إفرحي يا ممتلئة نعمة ، الربّ معك »(طروباريّة العيد) .

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

في هذه الفترة الخلاصيّة المباركة ، تبتهج المسكونة بأسرها ، لأنّ كلمة اللّه طأطأ السموات وانحدر ، ليعيد آدم الساقط، فها العذراء مريم الدائمة البتوليّة تستقبل في أحشائها الطاهرة ، الربّ الكلمة الذي قبل الدهور ، متجسّداً لكي يخلّص جنس البشر بقوّة لاهوته من الضلالة.

الإنجيليّ لوقا يتكلم عن سرّ التدبير الإلهيّ قائلا:

وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من اللّه إلى مدينة في الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة ... فدخل إليها الملاك وقال: سلامٌ لك أيتها المُنعم عليها. الربّ معك ، مباركة أنت في النساء. معلِناً لها البشارة بالحبل بكلمة اللّه فأجابت العذراء قائلة: كيف يكون هذا لي ...

فأجاب الملاك وقال: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك ، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن اللّه.

فقالت العذراء: هوذا أنا أمة الربّ فليكن لي كقولك.

وهكذا عندما قَبلَت العذراء هذه البشارة من الملاك جبرائيل ، حَبلَت بطريقة عجيبة في بطنها الكليّ النقاوة بإبن وكلمة اللّه ، من خلال مشيئة الآب ،وحكمة وقوّة الكلمة، وفعل الروح القدس الذي كان يظلّلها.

ومنذ ذلك الحين ، أصبحت جميع أسرار كلمة اللّه تعمل تدبيرياً لخلاص وفداء البشريّة قاطبة.

لهذا السبب أعلن المرنم أن هذا هو رأس خلاصنا ؛ لأن هذا فعلاً ظهور السرّ الذي قبل الدهور ، هذا السرّ المكتوم عن البشر وعن الملائكة أيضاً ، أُعلن اليوم بالبشارة المفرحة، حيث دار الحديث بين الملاك جبرائيل وبين العذراء مريم الكليّة النقاوة ابنة الناصرة وممثلة الجنس البشري ، والتي إستحقت وبجدارة من أجل طاعتها وتواضعها لأن تصبح حواء الجديدة، فقد استئهلت لأن تكون الإناء المختار للروح القدس، فبجبلها بكلمة اللّه القدّوس ، أصبحت تدعى والدة الإله ، ثيوطوكوس، فهي كخليقة اللّه المجدة بإمتياز في الأرض وفي السماء ، تسمو بكرامتها الإلهيّة على الجنس البشري بأجمعه ، وتسمو أيضاً على الطغمات الملائكيّة ، والأجواق العلويّة.

فيا من هي أكرم من الشيروبيم ، وأرفع مجداً بغير قياس من السيرافيم ، التي بغير فَساد ولدت كلمة اللّه ، حقاً أنّك والدة الإله إياك نعظّم.

العذراء مريم والدة الإله ، لأجل قَدْرها وكرامتها ومشاركتها في مجد ابنها الإلهي ، تتشفّع في خلاص نفوسنا ، فنحن المسيحيين نطلب شفاعاتها غير المردودة ، ونضع رجائنا تحت كنفيها، فتظللنا بمحبة وبعطف وحنوّ ، لأنّنا مدعوون نحن أيضاً لنشارك في المجد الإلهي ، وفيَ مجد ملكوت ابنها السماوي ، كما يذكر الرسول بطرس: «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى» (١بط ٥: ٤).

فلنتمثّل إذاً من العذراء مريم ، فنحنُ مدعوون لنتحد بالمسيح ، لكي يولد فينا من الناحية الروحيّة ، وذلك من خلال عمل التوبة المقرون بالصوم والصلاة، وكما يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «أم لستم تعلمون أنّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من اللّه ، وإنّكم لستم لأنفسكم؟ لأنّكم قد اشتريتم بثمن. فمجِّدوا اللّه في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي للّه» (١كو٦: ١٩–٢٠).

إن العذراء مريم هي بوابّة الخلاص ، ولا قيمة لقداستنا إذا ما تجاهلنا عظمتها وقداستها ، ويقول صاحب المزامير بشأنها: «قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذَهّب مُوشى ... كلُّ مجد ابنة الملك من داخل» (مزمور ٤٤: ١٠–١٥).

فنطلب شفاعات والدة الإله الكليّة النقاوة ، ومع المرنم نقول: السلام عليك يا والدة الإله يا نجاة آدم من اللعنة ، السلام عليك يا أم اللّه العفيفة. السلام عليك أيتها العليقة الحيّة الناطقة. السلام عليك أيتها المصباح. السلام عليك أيتها العرش. السلام عليك أيتها السلّم والباب. السلام عليك أيتها المركبة الإلهيّة. السلام عليك أيتها السحابة الخفيفة. السلام عليك أيتها الهيكل. السلام عليك يا جرّةً كلّها ذهبٌ. السلام عليك أيتها الجبل. السلام عليك أيتها الخباء والمائدة. السلام عليك يا عتق حواءَ من الألم والنحيب.

وكل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عيد بشارة العذراء مريم هو عيد للسيّد ولوالدة الإله. إنه عيد للسيد لأن المسيح هو مَن حُبل به في رحم العذراء وهو عيد لوالدة الإله لأنه يشير إلى الشخص الذي ساعد في حمل كلمة الله وتجسده أي مريم العذراء الكلية القداسة.

لمريم والدة الإله قَدر عظيم وموقع مهم في الكنيسة، وذلك بالضبط لأنها كانت الشخص الذي انتظرته كل الأجيال ولأنها أعطت الطبيعة البشرية لكلمة الله. وهكذا يرتبط شخص والدة الإله عن كثب بشخص المسيح. إلى هذا، قَدْر العذراء مريم لا يعود لفضائلها وحده بل أيضاً لثمرة بطنها بشكل أساسي. لهذا السبب، الدراسة اللاهوتية حول والدة الإله (Theotokology) مرتبط جداً بالدراسة اللاهوتية لشخص المسيح (Christology). عندما نتحدّث عن المسيح لا نستطيع إهمال التي أعطته الجسد. وعندما نتحدّث عن العذراء مريم نشير بنفس الوقت إلى المسيح لأن منه تستدرّ النعمة والقَدْر. هذا يظهر بوضوح في خدمة المديح حيث تُمتَدَح والدة الإله ولكن دوماً في توافق مع حقيقة أنها والدة المسيح «إفرحي يا تاجاً للملك. إفرحي يا حاملة حامل كل الخليقة». يظهر هذا الارتباط بين الخريستولوجيا والثيوتوكولوجيا في حياة القديسين أيضاً. إن محبة العذراء مريم هي صفة مميزة للقديسين أعضاء جسد المسيح الحقيقيين. من المستحيل أن يصبح قديساً مَن لا يحبها. بشارة والدة الإله هي بداية كل الأعياد السيدية. في طروبارية العيد ننشد: «اليوم رأس خلاصنا وظهور السر الذي قبل الدهور...» تشير فحوى العيد إلى رئيس الملائكة، وهو الملاك المولَج بكل الأحداث المتعلّقة بتجسّد المسيح، يزور العذراء مريم، بأمر من الله، مخبراً إياها بأنّ أوان تجسّد كلمة اللّه قد آن، وأنها سوف تكون أُمّه (لو١:٢٦-٥٦).

تتألّف كلمة البشارة (باليونانية) من كلمتين، الحَسَن والرسالة وهي تعني الرسالة الحسنة أو الإعلان الحَسَن. هذا يشير إلى الإعلام الذي أُعطي برئيس الملائكة بأن كلمة الله سوف يتجسّد لخلاص البشر. جوهرياً، هذا هو إتمام وعد الله الذي أُعطي عند سقوط آدم وحواء (تك٣:١٥)، والمسمّى بالإنجيل الأول (proto-evangelion). لهذا السبب إعلان تجسد كلمة الله هو أعظم بلاغ في التاريخ.

بحسب القديس مكسيموس المعترف، إنجيل الله هو شفاعة الله وتعزية البشر من خلال ابنه المتجسّد. في الوقت نفسه، إنّه مصالحة البشر مع الآب الذي يمنح التألّه (Theosis) غير المولود كمكافأة للذين يطيعون المسيح. يسمّى التألّه غير مولود لأنه ليس مولوداً في الذين يستحقونه بل بالأحرى هو معلَن لهم. بالتالي، التألّه الممنوح من خلال المسيح المتجسّد ليس ولادة بل هو كشف شخصي (enhypostatic) عن الاستنارة للذين يستحقون هذا الكشف.

الإعلان الحَسَن، الإنجيل، أو البشارة هو تصحيح للأحداث التي جرَت عند بداية خلق الإنسان في فردوس عدن الحسي. هناك بدأ السقوط ونتائجه من امرأة وهنا من امرأة تبدأ كل الأمور الحسنة. وهكذا، العذراء مريم هي حواء الجديدة. هناك كان الفردوس حسياً، وهنا الكنيسة. هناك آدم وهنا المسيح. هناك حواء وهنا مريم. هناك الحيّة وهنا جبرائيل. هناك وشوشة الحية لحواء وهنا سلام الملاك لمريم. بهذه الطريقة تُصحّح خطيئة آدم وحواء.

رئيس الملائكة نادى العذراء مريم بالممتلئة نعمة قائلاً: «افرحي يا ممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت في النساء» (لو١:٢٨). تُدعى مريم ممتلئة نعمة وتُوصَف بالمباركَة لأن الله معها.

بحسب القديس غريغوريوس بالاماس وغيره من الآباء، لقد كانت العذراء مريم ممتلئة نعمة من قبل البشارة وليس أنها امتلأت نعمة في هذا اليوم. كونها قد بقيت في قدس أقداس الهيكل فقد بلغت قدس أقداس الحياة الروحية أي التألّه. إذا كان فناء الكنيسة مؤسَّساً للموعوظين والهيكل للكهنة، فإن قدس الأقداس مخصص لرئيس الكهنة. هناك دخلت مريم العذراء، ما يرمز إلى أنها بلغت التأله. معروف أن في الزمن المسيحي، صحن الكنيسة كان مخصصاً للموعوظين والدنسين، الكنيسة للمستنيرين أي أعضاء الكنيسة، وقدس الأقداس أو الهيكل للذين بلغوا التألّه.

وهكذا، بلغت العذراء مريم التأله حتى قبل استقبالها رئيس الملائكة. وكما يفسّر القديس غريغوريوس بالاماس بطريقة رائعة وملهّمة من الله، فإن مريم استعملت طريقة خاصة لمعرفة الله والشركة معه نحو إذ كان هدفها التألّه. هذا يشير إلى السكون أي الطريقة الهدوئية. لقد عرفت العذراء مريم أن لا أحد يستطيع فهم الله بالعقل والحواس والخيال أو المجد البشري. هكذا أماتت كل قوى النفس التي تأتي من الحواس، ومن خلال الصلاة النوسية فعلّت العقل. بهذه الطريقة بلغَت الاستنارة والتألّه. ولهذا السبب أُعطيت أن تكون والدة المسيح وأن تعطي جسدها للمسيح. هي لم تملك مجرد فضائل بل نعمة الله المؤلِّهة.

لقد حازَت العذراء مريم ملء نعمة الله بالمقارنة مع غيرها من الناس. بالطبع، المسيح، ككلمة الله، حاز كامل النعَم، وقد اكتسبَت العذراء مريم ملء النعمة من كامل ملء نعَم ولدها. لهذا السبب، هي دون المسيح بالمقارنة معه، لأن المسيح حائز على النعمة بالطبيعة، بينما مريم حائزة عليها بالمشاركة. بالمقارنة مع المؤمنين، إنها أعلى منهم.

لقد اكتسبَت العذراء مريم ملء النعمة من كامل ملء نعَم ولدها قبل الحَبَل وفي الحَبَل وبعد الحبل. قبل الحبل، ملء النعمة كان كاملاً، وفي الحبَل ازداد كمالاً، وبعد الحَبَل صار أكثر كمالاً (القديس نقوديموس الأثوسي). هكذا كانت العذراء مريم عذراءَ في الجسد وعذراءَ في النفس. وهذه العذرية الجسدية عندها هي أرفع وأكثر كمالاً من عذرية نفوس القديسين التي تتحقق بقوة الروح القدس.

ليس من إنسان مولوداً متحرراً من الخطيئة الأصلية. لقد ورث الجنس البشري سقوط آدم وحواء ونتائج هذا السقوط. كلمة الرسول بولس واضحة: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رومية ٣:٢٣). يبرز هذا المقطع الرسولي أن الخطيئة هي الحرمان من مجد الله وبالتالي ما من أحد متحرّر منها. وهكذا، وُلدت العذراء مريم بالخطيئة الأصلية. لكن متى تحرّرت منها؟ ينبغي بالجواب على هذا السؤال ألاّ يُبنى على وجهات النظر السكولاستيكية (العقلانيّة).

في البداية يجب أن نذكر أن الخطيئة الأصلية هي الحرمان من مجد الله والتغرّب عنه وفقدان الشركة معه. ولهذا الأمر مفاعيل حسّية لأن الفساد والموت دخلا إلى جسدي آدم وحواء. في التقليد الأرثوذكسي، لا يعني الكلام عن ميراث الخطيئة الأصلية ميراث الشعور بالذنب لهذه الخطيئة، بل بالدرجة الأولى يعني ميراث نتيجتيها أي الفساد والموت. تماماً كما تمرض أغصان النباتات وأوراقها عندما يموت جذرها، هكذا حدث مع سقوط آدم. كل الجنس البشري صار مريضاً. الفساد والموت اللذان ورثهما الإنسان هما المناخ المفضّل للأهواء وبهذه الطريقة صار فكر الإنسان معتماً.

لهذا السبب بالتحديد ساعد اتّخاذ المسيح هذا الجسد المائت والمتألّم من خلال تجسده على تصحيح نتائج سقطة آدم. لقد كان هناك تألّه في العهد القديم، كما كان هناك استنارة للفكر، لكن الموت لم يكن قد أبيد بعد. لهذا السبب ذهب كل الأنبياء معاينو الله إلى الجحيم. بتجسّد المسيح وقيامته، تألهت الطبيعة البشرية وهكذا أُعطيَت لكل إنسان إمكانية التألّه. ففي المعمودية المقدّسة نصبح أعضاء جسد المسيح المؤلّه والقائم من بين الأموات، لهذا السبب نقول أنّ بالمعمودية المقدسة يتحرّر الإنسان من الخطيئة الأصلية.

عندما نطبّق هذه الأمور على حالة العذراء مريم يمكننا أن نفهم علاقتها بالخطيئة الأصلية وتحررها منها. وُلدت العذراء مريم بالخطيئة الأصلية وورثت في جسدها كل نتائج الفساد والموت. بدخولها إلى قدس الأقداس بلغت التألّه. هذا التألّه لم يكن كافياً ليحررها من نتائج السقوط وهذا بالضبط لأن الطبيعة الإلهية لم تكن قد اتّحدت بعد مع الطبيعة البشرية في أقنوم الكلمة. وهكذا، عند لحظة اتّحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في رحمها بقوة الروح القدس، تذوّقت التحرر من الخطيئة الأصلية ونتائجها. إلى هذا، فالسقوط تمّ في اللحظة التي فيها فشل آدم وحواء في جهادهم الشخصي الحر. ولهذا السبب، في لحظة البشارة، بلغت العذراء مريم حالةً أعظمَ من تلك التي كان عليها آدم وحواء قبل السقوط. لقد أُعطيَت أن تتذوّق غاية الخليقة وهدفها، كما سوف نرى في التحليل الآخر.

لهذا السبب، لم يكن من داعٍ للعنصرة لدى العذراء كما لم يكن من ضرورة لمعموديتها. ما اختبَره الرسل في يوم العنصرة عندما أصبحوا أعضاء جسد المسيح بالروح القدس، وما يحدث لنا جميعاً خلال سر المعمودية، حدث للعذراء مريم قبل يوم العنصرة. لقد تحررت من الخطيئة الأصلية ليس بمعنى أنّها تخلّصت من الذنب بل قد بلغت التألّه بنفسها وجسدها بسبب اتحادها بالمسيح.

في هذه الأطر ينبغي تفسير كلام القديس يوحنا الدمشقي بأن العذراء مريم في يوم البشارة تلقّت الروح القدس الذي طهّرها وأعطاها قوة تقبّل ألوهية الكلمة مع قوة الولادة في وقت واحد. أي أن العذراء مريم تلقّت من الروح القدس نعمة مطهِّرة ولكن أيضاً نعمة لتتقبل كلمة الله كإنسان وتكون قادرة على ولادته.

إن رد العذراء مريم على إعلام رئيس الملائكة لها بأنها سوف تُعطى أن تلد المسيح كان معبِّراً: «هئنذا أمة للرب. ليكن لي بحسب قولك» (لو١:٣٨). هنا تظهر طاعة العذراء مريم لقول رئيس الملائكة وأيضاً طاعتها لله أمام حدث غريب وشاذ بحسب المنطق البشري. هكذا أخضعت منطقها لإرادة الله.

يدّعي البعض بأنه في تلك اللحظة كل أبرار العهد القديم، لا بل كل البشرية، انتظرت بقلق لتسمع جواب العذراء مريم، خوفاً من أن ترفض وألا تطيع إرادة الله. إنهم يتمسّكون بهذا لأن في كل مرة يقع الإنسان في هكذا مأزق، وبالضبط لأنه حر، يستطيع أن يقول نعم أو لا، كما حدث في حالة آدم وحواء، الشيء نفسه كان ممكناً حدوثه مع العذراء مريم. في أي حال، لم يكن ممكناً لها أن ترفض، ليس لأنها كانت بلا حرية بل لأن كان عندها الحرية الحقيقية.

يميّز القديس يوحنا الدمشقي بين الإرادة الطبيعية والإرادة العنيدة. يتشبث المرء بإرادته عندما يتميّز بجهله لأمر ما، بالشك وفي النهاية بعجزه عن الاختيار. هذا يشير إلى التردد حول ما يفعله. يكون المرء ذا إرادة طبيعية عندما ينقاد بطريقة طبيعية من دون تردد ولا جهل إلى تحقيق الحق.

وهكذا يبدو أن الإرادة الطبيعية مرتبطة بالرغبة، بينما العناد مرتبط بكيفية ما نريد، وفوق هذا أن يتحقق ما نريد إنما بشكوك وتردد. بالنتيجة، تتضمن الإرادة الطبيعية كمال الطبيعة بينما الإرادة العنيدة تتضمن نقص الطبيعة، لأنها تفترض مسبقاً شخصاً من دون معرفة للحق وغير واثق مما عليه أن يقرره.

ومع أن للمسيح إرادتان بسبب طبيعتيه الإلهية والبشرية، إلا إن له إرادة طبيعية من وجهة النظر التي ندرسها هنا. لم يكن لديه إرادة معاندة. كإله، هو دائماً يعرف إرادة الله الآب، وليس فيه أي تردد أو شك. يختبر القديسون هذا الأمر بالنعمة أيضاً، وخاصةً العذراء مريم. فلأنها بلغت التألّه كان من المستحيل أن ترفض إرادة الله وألاّ تقبل بالتجسد. لقد كان عندها الحرية الكاملة، ولهذا

فقد عملت حريتها دوماً طبيعياً وليس بخلاف الطبيعة. نحن عندنا حرية غير كاملة لأننا لم نبلغ التألّه، إرادتنا العنيدة، ولهذا نحن نتردد في ما نقوم به. سؤالها «كيف لي هذا وأنا لم أعرف رجلاً؟» (لو ١:٣٤)، يُظهر الاتضاع وضعف الطبيعة البشرية، لكنّه أيضاً يُظهر غرابة الأمر إذ قد كان في العهد القديم ولادات عجائبية ولكن ليس من دون زرع.

لقد تمّ في يوم البشارة حمل مباشر بالمسيح بقوة وفعل الروح القدس. في إحدى الثيوطوكيات ننشد: «إن جبرائيل لمّا تفوّه نحوك أيتها العذراء بالسلام، تجسّد الرب فيك». هذا يعني أن الحمل لم يحتَج لساعات وأيام لكنه حدث بالضبط في تلك اللحظة. رئيس الملائكة جبرائيل أخبر يوسف خطيب والدة الإله:«لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (متى ١:٢٠). لقد ولدت العذراء مريم المسيح كإنسان لكن الحبل به كان من الروح القدس.

في تفسيره لهذه الآية، وتحديداً عبارة «مولود من الروح القدس»، يقول القديس باسيليوس الكبير أن كل شيء صادر عن شيء غيره يُدَلّ عليه بكلمات ثلاث. الأولى هي «**بالخلق**»، أي كما خلق الله العالم بقوته. الثانية هي «**بالولادة**» أي كما وُلد الابن من الآب قبل الدهور. الثالثة هي «**طبيعياً**» تماماً كما تصدر القوة من كل طبيعة، أي الإشراق من الشمس، وبشكل أكثر تعميماً العمل من فاعله. في ما يتعلّق بالحبل بالمسيح بالروح القدس، فالتعبير الصحيح هو أنه حُبل بالمسيح بقوة الروح القدس بالخلق وليس بالولادة ولا طبيعياً.

يعلّم القديس يوحنا الدمشقي أن ابن الله وكلمته ضمّ إلى نفسه، بدماء والدته النقية والطاهرة، الجسد الحي إلى نفس عقلية ونوسية، ليست من زرع بل مخلوقة بالروح القدس. بالطبع، عندما نتحدّث عن الحبل بالمسيح في رحم والدة الإله بقوة الروح القدس وفعله المُبدِع يجب ألاّ نفصل الروح القدس عن الثالوث القدوس. معلوم من التعليم الآبائي أن قوة الإله الثالوثي مشتركة. خلق العالم وإعادة خلق الإنسان والعالم تمّت وتتم بقوة الإله الثالوثي المشتركة. بالتالي، لم يخلق الروح القدس جسد المسيح وحده بل الآب أيضاً والابن، أي كل الثالوث القدوس. التعبير عن هذه الحقيقة هو أن الآب أيّد تجسد ابنه، وابن اللّه وكلمته بذاته اجترح تجسده والروح القدس أنجزه.

لقد تم الحبل بالمسيح في رحم مريم بصمت وسريّة وليس بجلبة وضجيج. لم يكن أحد لا من الناس ولا الملائكة ليفهم هذه الأمور العظيمة التي كانت تجري. لقد تنبأ النبي العظيم داود بهذا الحدث قائلاً: «ينزل مثل المطر على الجزة ومثل القطر القاطر على الأرض» (مزمور ٧١:٦). تماماً كما أن المطر الذي ينحدر على الجزة لا يسبب أي صوت أو أي فساد، الشيء نفسه تمّ خلال البشارة والحبَل. لم يسبب المسيح بالحبل به أي تشويش أو فساد لعذرية العذراء مريم. لهذا السبب بقيت العذراء مريم عذراء قبل الولادة وفي الولادة وبعدها. هذه هي النجمات الثلاث التي يضعها رسّامو الأيقونات دائماً على جبين العذراء مريم وعلى كتفيها.

إن اتحاد الطبيعة الإلهية والبشرية في أقنوم الكلمة، في رحم العذراء، يشمل تألّه الطبيعة البشرية المباشَر. هذا يعني أنه منذ اللحظة الأولى، عندما اتحد الإلهي بالطبيعة البشرية، بدأ تألّهها. قول القديس يوحنا الدمشقي مميز: «في لحظة البشارة، في تلك اللحظة تجسّد الله الكلمة». هذا يعني أنه لم يكن هناك فارق زمني بين الحمل بالطبيعة البشرية وتألّهها، بل هذا تمّ فوراً عند الحمل.

نتيجة لهذا الحَدَث ينبغي تسمية العذراء مريم والدة الإله لأنها بالفعل ولدت الإله الذي حملته لتسعة أشهر في رحمها، وليس إنساناً حاملاً نعمة الله. لهذا السبب تُسمّى العذراء مريم والدة الله، وبالتحديد لأنها حملت المسيح بالروح القدس. ينبغي التشديد على هذا لأن في الماضي جرت مشادة لاهوتية كبيرة حول ما إذا كان ينبغي تسمية العذراء مريم والدة الإله أو والدة المسيح. للمناقشة الخريستولوجة نتيجة في المناقشة المريمية (theotokological). فالمناقشة اللاهوتية الكبيرة التي جرت في الماضي سببها وجود تعاليم هرطوقية. إلى هذا، إن التثبيت النهائي للتعليم القائل بأن العذراء مريم ولدت الإله، وأنه مباشرة مع اتّخاذ الطبيعة البشرية كان تألّه هذه الطبيعة، تمّ في المجمع المسكوني الثالث. **الهرطوقي نسطوريوس**، مستعملاً عبارات فلسفية ومتأمّلاً بشرياً قال بأن العذراء مريم هي من البشر ولهذا يستحيل أن تلد الإله. الطفل الذي كان في داخلها لم يكن إلهاً بل بشرياً. الإله فقط «**مرّ عبرها**» أو «**عبر**» من خلال والدة الإله. بالطبع، كان هناك مشكلة في لاهوته حول العلاقة بين طبيعتي المسيح. لقد آمن **نسطوريوس** بأن جسد المسيح كان ضمنياً متّحداً بطبيعة الله. الكلمة لم يكن الإله، بل كان متحداً بالإنسان وسكن فيه. وعلى أساس هذه الافتراضات سمّى العذراء مريم والدة المسيح وليس والدة الإله.

في أي حال، فالمسيح هو إله ـ إنسان، إله كامل وإنسان كامل، وكل طبيعة تصرفت «في شركة» في أقنوم الكلمة. سوف نتطرّق إلى هذا الموضوع عندما نتحدّث عن ولادة المسيح. مع أن هنا يجب أن نشدد على أن الطبيعة البشرية تألّهت مباشرة مع اتحادها بالطبيعة الإلهية في الكلمة في رحم والدة الإله. لهذا السبب سُميت العذراء مريم والدة الإله لأنها ولدت الإله بشرياً.

إن تألّه الطبيعة البشرية المباشَر بالطبيعة الإلهية للكلمة لا يعني أن صفات الطبيعة البشرية أُلغيَت. هذا يُظهر أن التكوّن والحمل في الرحم وأيضاً ولادة المسيح تمّت كلّها بالطبيعة وفوق الطبيعة. فوق الطبيعة لأنها الروح الكلي قدسه أتمّها بشكل خلاّق وليس بالزرع طبيعياً، لأن الحمل في الرحم تمّ بالطريقة التي يُحمل فيها الأطفال بالرحم. في أي حال، هناك نقطة نبغي التشديد عليها. في كل حمل هناك مراحل إلى أن تتم الولادة. التكوّن هو البداية، ثم بعد بعض الوقت تُرسَم أعضاء الجسد، من ثمّ شيئاً فشيئاً تنمو وبحسب درجة نموه تأتي الحركة. بالنهاية، عندما تكتمل يخرج من رحم أمه. أمّا في الطفل الإلهي فعندنا ازدياد شيئاً فشيئاً ومع ذلك لم يكن هناك فترة زمنية بين التكوّن ورسم الأعضاء. يقول باسيليوس الكبير: «مباشرة ما تكوّن كان كاملاً في الجسد، لم يتكوّن الشكل تدريجياً». علينا أن ننظر إلى هذا من وجهة نظر أن أعضاء جسده رُسمَت مباشرة فقد خُلق إنساناً تاماً ولكن برغم ذلك لم يوجد في صيغة

الأشهر التسعة. لقد تمّا تدريجياً مع أن جسده كان مشكَّلاً منذ البداية.

إن الحمل بالمسيح تمّ في رحم والدة الإله بالروح القدس بطريقة مبدعة وليس بالزرع، لأنه كان ينبغي بالمسيح أن يأخذ طبيعة آدم النقية التي كانت له قبل السقوط. بالطبع، تبنّى المسيح جسداً متيسّراً وقابلاً للموت، كالذي صار لآدم بعد السقوط، لكي يغلب الفساد والموت، لكنه في كل الأحوال نقياً تماماً وبلا عيب كما كان قبل السقوط. وهكذا، كان جسد المسيح من جهة الطهارة كما كان جسد آدم قبل السقوط، بينما من جهة قابلية الموت والفساد فهو كما كان جسد آدم الساقط.

بالنتيجة لقد تمّ الحمل بالروح القدس لأن الطريقة التي يولَد بها الإنسان اليوم، أي بالزرع، هي بعد السقوط. بحسب القديس غريغوريوس بالاماس، حركة الجسد نحو الولادة ليست متحررة من الخطيئة، لأنه فيما الله قد حدد العقل ليحكم الإنسان، فهو تصرّف بلا خضوع خلال حركة الجسد. وهكذا، فإن طبيعة المسيح النقية مرتبطة بالخَلق وليس بالحمل من خلال الزرع.

هذا الحدث بالتحديد مرتبط بشدة بحقيقة أن الحمل بالمسيح وحمله في الرحم وولادته هي كلها بلا جهد ولا ألم ولا لذة. إذاً المسيح حُبل به، وحُمل في الرحم كطفل وولُد من دون لذة، من دون كدح ومن دون ألم. لقد حُبل به من غير زرع لسببين أساسيين. الأول ليحمل طبيعة البشر الصافية، والثاني ليولد من دون فساد وبطريقة لا ألم فيها.

بنفس الطريقة التي ولدت العذراء مريم بيسوع من دون لذة، كذلك حفظته في رحمها طوال تسعة أشهر من دون جهد ولا وزن. لم تحس بوزن بالرغم من أن الطفل الإلهي كان ينمو بشكل طبيعي وله وزن الجنين. وهكذا تحققت نبوءة النبي أشعياء: «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة» (أشعياء ١٩:١). عبارة «سحابة سريعة» تعني الجسد البشري الذي كان خفيفاً لدرجة أنه لم يسبب أي وزن أو جهد للعذراء مريم خلال فترة حمله لتسعة أشهر في رحمها.

إن حمل العذراء مريم بلا زرع ولا لذة والحمل في الرحم من دون جهد شبيه بميلاد المسيح الخالي من الخطأ والألم. بحسب القديس غريغوريوس النيصي، يوجد علاقة قوية بين اللذة والألم، لأن كل لذة ترتبط بألم ما. اللذة والألم اللذين أحس بهما آدم انتقلا إلى الجنس البشري. وهكذا أيضاً اليوم من خلال التحرر من اللذة يأتي الفرح للجنس البشري. إن ميلاد المسيح لم يؤذ عذرية والدة الإله، بالضبط لأن الحمل لم يتم بلذة، والحمل في الرحم لم يتم مع جهد ووزن. حيث يعمل الروح القدس «يُغلَب نظام الطبيعة».

إن طول فترة الحمل في رحم العذراء مريم هي إنذار مسبَق للشركة غير المنقطعة التي للقديسين في الملكوت. معروف أن بين الأم والطفل الذي تحمله في رحمها علاقة عضوية. لقد برهن الباحثون المعاصرون أن الطفل يتأثر كثيراً ليس فقط بوضع أمه الجسدي، بل أيضاً ببنيتها النفسية. وبما أن الطفل الإلهي قد حبل به بالروح القدس لكنه نما بطريقة طبيعية فهو كان في شركة مع جسد العذراء مريم، ولهذا السبب يوجد علاقة حميمة بين المسيح ووالدة الإله. طبيعياً، نرى من وجهة النظر هذه أن العذراء مريم تعطي دمها للمسيح، لكنه هو أيضاً يعطيها نعمته وبركته. إلى هذا، فالمسيح مع كونه محمولاً في الرحم لم ينقطع عن كونه في الوقت نفسه جالساً على عرش الآب متحداً بأبيه وبالروح القدس.

لقد اتحدت الطبيعة البشرية بالإلهية تلقائياً عند لحظة الحمل من دون تغير أو تشوش أو انقسام أو انفصال. هذا يعني قبل كل شيء أن العذراء مريم تذوقت خيرات التجسد الإلهي أي التأله. لقد عاشت العذراء مريم، منذ اللحظة الأولى للحمل ووجود الجنين في الرحم، كلَّ ما تذوقه تلاميذ المسيح في العنصرة، وما نحياه نحن خلال المعمودية، وفي سر الإفخارستيا الإلهية عند اشتراكنا بجسد المسيح ودمه وما سوف يحياه القديسون في الملكوت.

بالنتيجة لقد غذّى المسيح العذراء مريم بدمه المقدس لمدة تسعة أشهر كاملة، ليلاً ونهاراً. إن هذا إعلان مسبَق عن الشركة الإلهية غير المنقطعة والعلاقة المتواصلة بين القديسين والمسيح والتي سوف تتمّ في الحياة الثانية بشكل أساسي. لهذا السبب، العذراء مريم هي إعلان مسبَق عن الزمن الآتي. ومن هذا المنظار هي الفردوس.

في كلامه عن بشارة والدة الإله، يتقدم القديس نيقوديموس الأثوسي إلى مقاربة شخصية ووجودية لهذا الحدث. إذ لا يكفينا أن نحتفل بأحداث التجسد الإلهي خارجياً بل علينا مقاربتها وجودياً وروحياً. لهذا السبب لقد جمع الكثير من المقاطع من أقوال القديسين حيث الكلام هو بشكل أساسي ضمن هذه المقاربة الوجودية.

إن قول النبي إشعياء مميّز: «حَبِلْنَا تَلَوَّيْنَا كَأَنَّنَا وَلَدْنَا ريحاً.» (أشعياء ١٨:٢٦). بحسب تفسير الآباء فإن النسل هو كلمة الله والعقل هو رحم الإنسان وقلبه. بالإيمان يُزرع كلمة الله في قلب الإنسان فيحمَل بخوف الله. هذا الخوف هو من أن يبقى الإنسان بعيداً عن الله. بهذا الخوف يبدأ الجهاد لتطهير القلب وامتلاك الفضائل، وهو جهاد مشابه للألم وخاصةً لألم الحمل. بهذه الطريقة يولَد روح الخلاص الذي هو تألّه وتقديس.

إن تكوّن المسيح فينا لا يتمّ من دون آلام روحية. يقول الرسول بولس: «يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسح فيكم» (غلاطية ١٩:٤). المخاضات هي الجهادات الروحية والتكوّن هو التألّه والتقديس.

بحسب الآباء القديسين (غريغوريوس النيصّي، مكسيموس المعترف، سمعان اللاهوتي الحديث، نيكيتا ستيثاتوس وغيرهم) ما حدث جسدياً في العذراء مريم، يحدث روحياً لكل صاحب روح بتولية، أي المتطهّر من الأهواء. المسيح، الذي ولد مرة بالجسد يريد أن يولد، دائماً بالروح، من الذين يبتغونه، وبهذا يصبح طفلاً مكوِّناً نفسه فيهم من خلال الفضائل.

يُفهم الحمل والولادة الروحيان من حقيقة توقف جريان الدم، أي أن الرغبات في ارتكاب الخطيئة تتوقف، وتفقد الأهواء نشاطها في الإنسان، فيكره الخطيئة بشكل ثابت ويرغب في عمل إرادة الله. يُكتَسَب هذا الحمل وهذه الولادة بتحقيق الوصايا الإلهية، بشكل أساسي بعودة العقل إلى القلب وبالصلاة الفردية غير المنقطعة. عندها يصبح الإنسان هيكلاً للروح الكلي قدسه.

بشارة والدة الإله هي بشارة للجنس البشري، إعلام بأن ابن الله وكلمته تجسّد. إن العيد الكوني يجب أن يساعد على أن يكون عيداً شخصياً، في بشارة شخصية. علينا أن نقبل مقدمة خلاصنا، **التي هي أعظم إشعار في حياتنا.** ■

الجحيم   والنعيم

جوارجيوس ميتاليـنوس عميدكليّة اللاهوت في جامعةأثينا

الجزء الثاني والأخير

يعبر الأبرار والناس غير التائبون عبر «النار» غير المخلوقة الأزليّة للحضور الإلهي. ومع ذلك يعبر البارُّ من دون أن يتأذى وأمّا الإنسان الغير التائب «سيُخلّص» لكن مثل الإنسان الّذي يعبر عبر النار ويلاحظ أفثيميوس زيغافينوس (الّذي عاش في القرن الثاني عشر) بخصوص هذا الموضوع: «(يُلقَّب) اللّه بالنار لأنّه يقدّس ويجعل الأطهار مُشعين وأمَّا النجسين منهم فإنّه يُحرقهم ويغيظهم». ويكتب ثيـوذوريتُس المطوّب عن عبـارة «سيُـخلّص»: «سيُخلّص عبر النار بعد أن يكون هو نفسه قد وُضِع تحت امتحان » أي مثل شخص ما يعبر عبر النار إذا كان لديه غطاءً مناسباً فإنَّه لن يحترق وإلا فإنَّه «سيخلّص» لكنّه سيكون محروقاً بشدّة!

إنَّ عيش الفردوس والجحيم هو عيشٌ يفوق العقل والإحساس. إنَّ هذا العيشَ ليس واقعاً مخلوقاً بل هو واقعٌ غير مخلوق. إنَّ **الغربيون** قد ألّفوا الخرافة بأنَّ الفردوس والجحيم هما واقع مخلوق. كذلك إنَّه لخرافةٌ بأنَّ أولئك الّذين سيكونون في الجحيم لن يروا اللّه كما هي الحال أيضاً في مسألة غياب اللّه . كذلك فهم كانوا يعتقدون بأنَّ النار التّي في الجحيم مخلوقة (**على سبيل المثال دانتي**). إنَّه وبحسب التقليد الأرثوذكسي الّذي هو مُخلصٌ للكتاب المقدَّس إنَّ أولئك الّذين هم في الجحيم سيُعاينون اللّه (على سبيل المثال الغني في مثل السيّد المسيح) لكن على شكل «نار مُحرقة».

وبالتالي فإنَّ نار الجحيم لا علاقة لها « **بالمطهر» اللاتيني** لأنَّ النار ليست مخلوقة وليست عقاباً وليست عبارةً عن حالة متوسِّطة. إنَّ وجهةَ نظر كهذه هي عبارةٌ عن نقل المسؤوليَّة إلى الله. إنَّ المسؤولية هي لنا بالكامل أعني بها مسؤولية قبول أو رفض خلاص الشفاء المقدَّم لنا من قبل الله. إنَّ « **الموت الأبدي** » هو عبارة عن رؤية (تأمُّل) للنور الأزلي الغير المخلوق والمجد الإلهي على **هيئة نار**. يلاحظ القدّيس يوحنّا الذهبي الفم في محاضرته التاسعة على رسالة القدّيس بولس الرّسول الأولى إلى أهل كورنثوس أنَّ: «العذاب خالدة وإنَّ الخطاة سينالون هلاكاً أبدياًّ كدينونة لهم.وأمّا عبارة « **سيحترق** » فمعناها أنَّه لن يحتمل شدَّةَ حرِّ النَّار.» ويُكملُ: «وأمّا ذلك الأمر الّذي يتكلّم عنه (بولس) فمعناه: أنَّه لم يهلك الخاطئ أيضاً هكذا كما تهلك أعماله أي أنَّه سيُدَّمر بالكامل كما تدمَّر أعماله، لكنَّهُ سيبقى في النار. وهذا ما يُسمّيه الرَّسول بولس بالخلاص.. . . هكذا نقول نحن أيضاً عادةً عن المواد التّي لا تحترق بالكليّة: «إنّها تُخلّص في النار.»

إنَّ الآراء والتفاسير السكولاستيَّة (العقلانيَّة) والتّي دخلت بواسطة مؤلفات **دانتي** في أرضنا أيضاً تقود إلى مفاهيم وثنيَّة. وأوضح مثال على ذلك هو تقسيم الجحيم والجنَّة أو الفردوس وكأنَّهما مكانين مختلفين والّذي يعود إلى حقيقة أنَّه لا يُميَّز بين المخلوق وغير المخلوق، كما وإنكار الجحيم بواسطة الفكرة عن استعادة (أبوكاتاستاسيس) جميع الأشياء أو بواسطة الفكرة عن «**الإله الخيِّر**» (bon Dieu). إنَّـهُ لـحقٌّ أنَّ الله هـو «إلـهٌ خـيِّر» (متّى٨:١٧) بما أنَّه يُقدِّم الخلاص للجميع أي أنَّه « يريد أن يُخلَص جميع الناس. . ....» (١تيموثاوس٢:٤). إنَّ أقوال المسيح التّي يُنطَقُ بها خلال الدفن عظيمةٌ: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمعُ أدينُ ، ودينونتي عادلةٌ.» (يوحنَّا٥:٣٠). إنَّ عبارة « يوم الدينونة» (أي دينونة الله العادلة) الّتي تُطَبَّقُ في هذه الحالة هي مزيَّفةٌ أيضاً. وفي نهاية المطاف بحسب رأي السكولاستيين (العقلانيين) كلُّ شيءٍ يتوقَّف على الله (إنَّه من سيُخلِّص أو سيرسل إلى الجحيم) بدون أن يُؤخَذ «**التآزر**» بعين الاعتبار كركن من أركان الخلاص والّذي من الممكن حدوثه فقط في حدود التآزر أي العمل المشترك بين الإنسان والنعمة الإلهيَّة. وحسب القدِّيس يوحنَّا الذهبي الفم «إنَّ معظم وكلَّ المسألة تقريباً تخُصُّ الله ولم يتبقى لنا سوى بعضَ الشيء.» وهذا «الشيء» هو قبول دعوة الله. لقد خَلُص اللصُّ مستخدماً عبارة «اذكُرني» كمفتاح له. كذلك والرؤية الّتي تتكلَّم عن الله الذي ينظر نحو الخاطئ بغضب وحقد هي وثنيَّةٌ إذ أنَّ الله كما رأينا سابقاً «لا يُظهرُ عداوةً أبداً.» إنَّ هذا هُو المفهوم الشرعي لله والّذي يقود إلى فهم سر الاعتراف والعقوبات الّتي تفرضها الكنيسة ليس كأدويَّة أي كسبُلٍ لعلاج النفس بل **كعقوبات**.

يُعاش سرُّ الفردوس والجحيم ضمن حياة الكنيسة في العالم. يشترك المؤمن بواسطة الأسرار في النعمة كي تتمكَّن النعمة أن تتفعّل في حياته خلال رحلتنا في المسيح. وقبل كُلِّ شيءٍ في الإفخارستيَّا المقدَّسة (سر الشكر المقدَّس) يصبح القربان الغير المخلوق أي الإلهي فينا فردوساً أو جحيماً حسب حالتنا الروحيَّة. إنَّ الاشتراك في الإفخارستيَّا هو عيش الفردوس أو الجحيم في التاريخ ولهذا يتعلَّق هذا السرُّ بحياة المؤمن الرُّوحيَّة كلَّها.فعندما نُقبلُ إلى التناول أي نأتي إليه بدون أن نتطهّر وبدون توبة عندها نشعر بالجحيم (أي أنَّنا نحترق داخليّاً). يصبح القربان المقدَّس « **جحيماً**» و «**موتاً روحيّاً**» فينا، ليس لأنَّهُ يتحوَّل إلى شيءٍ مماثل. بل لأنَّ دَنَسَنا لا يسمح بأن نقبل الأسرار المقدَّسة « كفردوس.» عندما نأخذ بعين الاعتبار أنَّ **القربان المقدَّس** هو «**دواءُ الخلـود**» (حسب القدِّيس إغناطيوس المتوشّح بالله) يمكننا القول بأنَّهُ يعمل كأيِّ دواءٍ آخر بالذات. فإذا كان جسمُنا غير مهيأ داخليّاً أن يتقبَّلهُ عندها يكون للدواء تأثيرٌ جانبيٌّ ويُسبِّبُ لنا الموت بدلاً من أن

يشفينا. وليس الدواء هو المسؤول عن موتنا بل حالتنا الداخليَّة هي المسؤولة عن ذلك. ويجب علينا أن ننوِّهَ إلى أنَّهُ إذا لم نقبل المسيحيَّة كوسيلة للشفاء والأسرار كأدوية روحيَّة عندها سنصل إلى تديين المسيحيَّة أي إلى جعلها **ديانةً وثنيَّة**. وللأسف فإنَّ هذا غالباً ما يحصلُ عندما نفهم المسيحيَّة على أنَّها دينٌ.

ومن جهة أُخرى تُقرَّر حياتنا الآنيَّة من منظور الفردوس والجحيم. «ولكن اطلبوا أوَّلاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلُّها تزاد لكم.» (متّى٦:٣٣). يقول القدِّيس باسيليوس الكبير في مقالته « كيف يجب على الأحداث أن يدرسوا المؤلفين الكلاسكيين أو القدماء»(الفصل الثالث):«إنَّنا نفعل كُلَّ شيءٍ كتهيُّؤٍ للحياة الآتيَّة».

يجب أن تكون حياتنا تهيؤ غير منقطع للاشتراك في «الفردوس» أي للشركة مع الإله الأزلي (انظر يو٣:١٧) والّذي يبدأ من هذا العالم. ولذلك يقول القدِّيس بولُس الرَّسول: «هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَص». (٢كورنثوس ٦:٢). تملك كلُّ لحظة من حياتنا معنىً خلاصيّاً. فإنَّهُ إمَّا نكسب الأبديَّة أي الشركة الأبديَّة مع الله وإمَّا أنَّنا نخسرها. ولذلك **تحطُّ الأديان الشرقيَّة الّتي تعلِّم التقمُّص من كرامة الإنسان** لأنَّها تنقل المشكلة إلى حياة (لا وجود لها في الطبيعة نفسها). يوجد حياةٌ واحدةٌ فقط الّتي إمَّا نُخلَص فيها أو نهلك. ويكمل القدِّيس باسيليوس الكبير حديثه عن هذا: « إنَّنا نقول عن ذلك الشيء الّذي يعيننا في (كسب) حياتنا الحاليَّة أنَّهُ يجب علينا أن نحبَّهُ وأن نتوجَّهَ إليه بكلِّ قوانا وأمَّا الشيء الّذي لا يقودنا إليه فيجب علينا أن نبغضه وكأنَّه لا يُصلحُ لشيء». هذا هو معيار الحياة المسيحيَّة. يختار المسيحي دائماً الشيء الّذي يقوده إلى الشيء الّذي يساهم في خلاصه. إمَّا أنَّنا نربح الفردوس في هذه الحياة وإمَّا أنَّنا نخسره ونصل إلى الجحيم. ولهذا يقول القدِّيس يوحنَّا الإنجيلي: «اَلَّذي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ». (يوحنَّا٣:١٨).

وبالتالي ليست مهمَّة الكنيسة هي أن «ترسل» الإنسان إمَّا إلى الفردوس أو إلى الجحيم بل أن تهيؤُهُ للقضاء الأخير. ليست مهمَّة الآباء الروحيين بمعناها العلماني أخلاقيَّةً أو عبَريَّةً بل شفائيَّةً. يُحفَظُ معنى الحياة في المسيح في الأديرة وبالطَبع إذا كان الرُّوح السائدُ فيها أرثوذكسيّاً أي آبائيّاً. ليست غاية الشفاء المقدَّم من قبل الكنيسة تشكيل مواطنين «صالحين» وبالفعل مطيعين بل مواطنين للملكوت السماوي الأزلي الغير المخلوق. هؤلاء هم المعترفون والشهداء والمؤمنون الحقيقيون والقدِّيسون.

توضع بهذه الطريقة مهمَّتنا أيضاً تحت امتحان فإلى ماذا ندعو النَّاس ؟ أإلى الكنيسة الّتي هي «مشفىً روحي» أم إلى إيديولوجيَّة ما تدعى بالمسيحيَّة ؟ فبدل أن نبحث عن شفاء ؛ عادةً ما نحن نبحث عن مكان لنا في «الفردوس» ولذلك نحنُ نتعامل مع مراسيم وطقوس دينيَّة بدلاً من أن نبحث عن شفاء للإنسان. لكنَّ هذا ليس معناه أن نرفض الخدمة الإلهيَّة أي القدَّاس الإلهي. وإنَّما بدون الجهاد أي بدون حياة زهديَّة. لا يمكن للقدَّاس الإلهي أن يُقدِّسنا وتبقى النعمة الّتي تنبع عنه غير مفعَّلة. لا تعد الأرثوذكسيَّة بأن

ترسل الإنسان في فردوس أو جحيم ما لكنَّها تمتلك القدرة كما يتبيَّن من رُفات القدِّيسين العجائبيّة والّتي لا تُفسد (الّتي لا تُفسد أي المؤلهة) على أن تهيئ الإنسان لكي يتمكّن هو من رؤية نعمة ملكوت المسيح الأزليَّة الغير المخلوقة ليس **كجحيمٍ** بل **كفردوسٍ**.

الرب «في مجد»

كانت العناية الإلهيّة تشدّد القديس سيرافيم ساروفسكي (١٧٥٩-١٨٣٣) في جهاداته، وذلك بوساطة رؤى روحيّة تبثُّ التعزية في روحه. فعندما كان شمّاساً، كان يرى في أوقات الخدمات الملائكة القديسين يرتّلون مع الرّهبان ويخدمون معهم.

يروي القديس سيرافيم قائلاً:

﴿في إحدى المرّات ، كنتُ أخدم يوم الخميس العظيم ؛ وبعد الدخول الصغير والقراءات ، وقفتُ أنا غير المستحقّ إلى جانب الباب الملوكي قائلاً: يا ربُّ خلِّص الحسني العبادة واستجب لنا ؛ بعد ذلك خرجتُ من الباب الملوكي رافعاً الزنّار نحو المؤمنين وأكملتُ صلاة التسبيح المثلث التقديس: وإلى دهر الداهرين، فأنارَ أمامي في تلك اللحظة نورٌ، فنظرتُ وإذ بي أُشاهدُ ربَّنا يسوع المسيح بشكل ابن الإنسان ساطعاً بنور أقوى من الشمس ضمن نور فسيح ، وقد كانت تحيط به قوّات الملائكة السماوية ورؤساء الملائكة والشيروبيم والسيرافيم مثل النحل. فقد كان الربُّ قد دخل من الباب الغربي ماشياً على الهواء ووقف مقابل الآمبون، ثمّ رَفَعَ يده وبارَكَ خدّام السرّ والمصلّين ، وفي النهاية دخل في أيقونته الموجودة إلى جانب الباب الملوكي، فطفَرَ قلبي من الابتهاج بسبب محبّة الربّ الكليّة العذوبة﴾.

الجدير بالملاحظة هنا هو أنَّ هذه الرؤيا حصلت حينَ دخول الكهنة إلى الهيكل ، الأمر الذي يرمز إلى دخولهم السماءَ ذاتها. ففي وقت الدّخول الصّغير يتضرّع الكاهن قائلاً: «إجعل دخولنا محفوفاً بدخول ملائكة قدّيسين تخدم معنا وتمجّد وإيّانا صَلاحَكَ». إضافةً إلى ذلك ، يتمّ بعد الدخول ترتيل التسبيح الملائكي: «قدّوسٌ اللّه ، قدّوسٌ القويّ ، قدّوسٌ الذي لا يموت ارحمنا».تُظهر هذه الرؤيا كيف أنّ القوّات السماوية تشاركنا الخدمة بطريقة غير منظورة ، ولهذا فليعلم كلُّ مؤمن أنّه يصلّي بين الملائكة كأنَّه موجود في السماء.

(من كتاب عجائب ورؤى من القدّاس الألهي " ص ٩٩-١٠٠ ")

الأرثوذكسيّة (١٠)

الأب: أنتوني م. كونياريس

قانون ايمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

ضابط الكلّ

يصف القانون النيقاوي اللّه أنه: «ضابط الكلّ». حقيقةً إنه لا يمكننا أن نقول شيئاً كثيراً عن اللّه الذي لا نعرفه من قبل، ولكن إن كان حقّاً هو اللّه، فلابدّ أن يكون هو: «ضابط الكلّ ـ الكليّ القُدرة ـ القادر على كل شيء».

إنّ الأيقونة التي تُعبِّر جيّداً عن قوّة اللّه القادر على كلّ شيء هي أيقونة البانتوكراتور التي تطلُّ من القبَّة في معظم الكنائس الأرثوذكسيّة.إنها أكبر الأيقونات على الإطلاق وأكثرها تأثيراً،إنها تهيّمن على كلّ المبنى، تتكوّن الصورة من شكل عظيم للمسيح محاط بدائرة متعدِّدة الألوان أو قوس قزح الذي يقال إنه يحيط بعرش اللّه. إن صورة المسيح بأكملها: وجهه، رقبته، ذراعيه، الهالة الهائلة حول رأسه، الطريقة المهيبة التي يبدو فيها وهو يمسك الكتاب المقدّس بيسراه ويبارك بيمناه، كلّ هذه تُعبِّر عن قوّته وجلاله. إنها تعبيرمرئي عن اللّه ضابط الكل القادر على كل شيء، الذي سوف يسود في النهاية، الذي هو الألف والياء، البداية والنهاية، الذي يجلس متوَّجاً ويحكم العالم، الذي بقيامته المجيدة وطىء الخطية والموت والألم، وهو يملك منتصراً، هذا الذي اللّه الآب «أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماوات، فوق كل رياسة وسلطان وقوّة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٠-٢٣).

قادر على كلّ شيء في الطبيعة:

يميط العلم اللثام كل يوم عن قوّة اللّه القادر على كل شيء في الطبيعة. وعلى سبيل المثال القوّة الهائلة الموجودة في الذرّة. إنه يوجَد في فنجال واحد من الماء البارد طاقة كافية لتدفع سفينة لتعبر المحيط الأطلنطي، وحُسبَ أنّ الأرض تستقبل عشرين جزءاً من المليون من واحد في المائة فقط من طاقة الشمس، ومع ذلك فإن هذه الكميَّة الضئيلة جدّاً من طاقة الشمس (مع أن هذه الشمس هي مجرَّد واحدة من بليون تريليون نجم مشابه لها) هي كافية لأن تجعل هناك إمكانية للحياة والدفء والطعام والضوء. مَن هذا الذي وضع كل هذه القوّة في الطبيعة؟ إنّه ليسَ إلاَّ ضابط الكل الذي يقول عنه القانون النيقاوي: «خالق السماء والأرض». إنه بلا شكّ أكبر وأقوى بلا حدود عن العالم الذي خلقه.

قادر على كلّ شيء في الكتاب المقدّس:

ليست الطبيعة فقط هي التي تتكلّم عن عظمة وقوَّة وقدرة اللّه، بل الكتاب المقدّس أيضاً، فنقرأ في الكتاب المقدّس في المزمور ١٠٣: «باركي يا نفسي الرب! يا إلهي لقد عَظُمتَ جداً... الباسط السماء مثل الخيمة.. الذي جعل السحاب مركبته. الماشي على أجنحة الرياح ... تصعد الجبال وتنزل البقاع إلى الموضع الذي أسّسته لها. الذي يرسل العيونَ في الشعاب. وفي وسط الجبال تعبر المياه. تسقي كل وحوش الغياض... الذي يسقي الجبال من علاليّه، ومن ثمرة أعمالك تشبَعُ الأرض، الذي ينبت العشب للبهائم. والخضرة لخدمة بني البشر ... صنع القمر للأوقات. والشمس عرفت غروبها... ما أعظم أعمالك يا رب. كلّها بحكمة صنعت» (مز١٠٣: ١-٢٤).

بهذا الجمال يُفَخِّم المرنِّم في العهد القديم قوَّة اللّه الفائقة. أما العهد الجديد، فإن الرب يسوع بنفسه يُظهر قوَّة اللّه بقدرة لم يُظهرها أحد قبله قَط. إنه شفى عشرة بُرص، أعطى النظر للعميان، طرد الأرواح الشريرة، أقام المخلَّع، هدّأ العاصفة الثائرة، أشبع خمسة آلاف بقليل من الخبز، أقام لعازر من الموت بعد أن أنتن. هنا نرى أيضاً أن إله المحبة والرحمة يُظهر أيضاً أنه الكلِّي القدرة، المالك المطلَق لكل قوَّة. وفي الحقيقة . فإنه بدون هذا الشعور الأوّلي لقوَّة اللّه، فإن صفات اللّه الأخرى من محبة ورحمة قد تبدو أنها صُوَر من الضعف.

لا يُؤكّد الكتاب المقدّس عظمة اللّه وقوّته ليجعل الإنسان يشعر بضآلته وتفاهته وعدم أهميّته، بل العكس، فإن عظمة اللّه وقوّته إنما هي مُقامة لأجل إحتياجات الإنسان. إنها لا تَدَع للإنسان أن يقول: «إن كان اللّه عظيماً هكذا، فأنا بالضرورة كالدّودة بالنسبة له»، ولكن على العكس تساعده على القول: «إن كان اللّه عظيماً هكذا، فهو قادر أن يساعدني ويحميني».

هذا الفكر نجده في الأصحاح الأربعين لإشعياء النبي الذي يقول فيه: «مَن كالَ بكفه المياه، وقاسَ السماوات بالشِّبر، وكالَ بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبَّان والآكام بالميزان؟» (إش ١٢:٤٠). هنا قوّة اللّه. ولكن يسبق هذا العدد القول: «كراعٍ يرعى

بذراعه يجمع الحملان ، وفي حضنه يحملها ، ويقود المرضعات» (أش ٤٠: ١١)، هذه القوَّة العظيمة إنما هي بيد راعٍ مُحب! ثم ينتهي كل الأصحاح بالآية: «وأما منتظروا الربّ فيجدِّدون قوَّة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون» (أش ٤٠: ٣١). هذه القوَّة الهائلة وطاقة اللّه الجبّارة موجودتان ليس لكي تُصَغِّر الإنسان، وإنما لتعزِّزه، إنها تحت تصرُّف أولئك المؤمنين به. هذا هو الإيمان الذي نُعَبِّر عنه عندما نعترف باللّه: «ضابط الكلّ».

اللّه هو الذي يُحدُّ نفْسه

عبارة: «ضابط الكلّ» ، التي تُطلَق على اللّه تعني بالتحديد أنه كُلِّـــي القدرة، له كل القوَّة بلا حدود، أمَّا إذا كانت هناك حدود لما يمكن أن يفعله اللّه، فهذه الحدود يلزَم أن يفرضها اللّه بنفسه وليس شخص آخر، وإلاَّ فلا يمكن أن يكون كُلِّي القدرة. اختار اللّه بإرادته أن يضع بعض الحدود على نفسه لما يفعله أو لما لا يفعله، فمثلاً يمكن للّه أن يصنع شيئاً سخيفاً إذا شاء، ولكنه اختار ألاَّ يفعل ذلك، كما أنه اختار أن يُحدّ قوَّته غير المحدودة بحكمته. إنَّ اللّه كُلِّي القدرة، ولكنه أيضاً أبونا، أبٌ محدودٌ بأبوته، فمع أن أي أب مهما كانت القوَّة التي في يده، فلابد أن يكبح هذه القوّة، وينتظر وينتظر على ابنه أن ينمو ويتعلَّم بنفسه حتى ولو كان على حساب أخطاء مرعبة يفعلها وتكسر قلب أبيه. اللّه لم يخلقنا كدُمى، إنه خلقنا أشخاصاً ، وأعطانا مُطلق الحرية، اللّه لن يفرض نفسه علينا، إنه اختار أن يحتَرم حريَّة اختيارنا، لذلك ليتنا لا نصلّي صلوات خالية من الحكمة كما نفعل أحياناً ونسأل أسئلة بلا فطنة مثل: لماذا لا يوقف اللّه الحروب؟ .. إن اللّه لم يبدأ بالحروب، إنه الإنسان، وهو أيضاً الذي يستطيع أن يوقفها. اللّه اختار أن يضع حدّاً لقوّته، إنه يرفض أن يتدخل ويحرِّك عصا سحرية وقتما يدعوه الإنسان. إنه اختار أن يعاملنا كبنين وليس كعبيد أو دُمى.

أبٌ ضابط الكلّ:

إن قانون الإيمان يضع اللفظتين: «الآب» و «ضابط الكلّ» معاً، ليرينا أن اللّه الكُلِّي المحبة هو نفسه الكُلِّي القدرة. هذا يعني أن محبة اللّه مسنودة بقوّته. إنها ليست محبة ضعيفة وجدانية ، إنها مُعضَّدة كما بأعظم قوَّة في الوجود. إنه حبٌّ لن يُهزَم، قد يُؤجَّل ولكنه في النهاية سوف يسود.

كما أن اللفظتين: «الآب ضابط الكل» ترينا أيضاً أن قوَّة اللّه العظيمة سوف تُستخدَم أيضاً في محبة، لن تُستخدَم لتُؤذي أو تخرِّب أو تهدم. إن اللّه العظيم الذي يمسك بالكواكب في يده ويتمشَّى في الفضاء هو نفس الإله الذي يعتني بكَ وبي، الذي قال: «حتى شعور رؤوسنا كلها مُحصاة ومعروفة لديه، وإن عصفوراً واحداً صغيراً لا يسقط على الأرض دون علمه». إنه نفس الإله الذي أخذ منشفة وغسل أرجل تلاميذه، لذلك فأن يكون اللّه ضابط الكل، فهذا يعني بالنسبة ليسوع: أنّه يخدم في محبّة.

يقول روبرت برونينج إن وضوح قوَّة اللّه ظاهرة في كلّ شيء: في الإعصار في الفيضان، ولكن حُبّه ليس هكذا، حبّ اللّه يحتاج إلى برهان، أمَّا بالنسبة لنا كمسيحيين فهذا الكلام هراء. ليس هناك وضوح لمحبة اللّه بعد الصليب. نظرة واحدة على الصليب كافية لتبيِّن لنا كم أن محبّة اللّه ضابط الكل عميقة جداً.

فكلمة ضابط الكلّ، كُلِّي القدرة، تعني إذن أننا نؤمن ليس بإله ضعيف خامل ولكن نؤمن بإله كل الأشياء ممكنة عنده. هذا يعني أنه إن كانت لدينا مشاكل، فلا ينبغي أن تثبط همَّتنا، ذلك لأننا نؤمن بإله كبير بدرجة تحوي كل مصاعبنا وكل احتياجنا ووجع قلبنا. لا حدَّ إطلاقاً لقدرته وقوَّته. إنه إله قادر قدير، قادر أن يعتني بكل احتياجاتنا، قادر كما يقول بولس الرسول: «أن يفعل أكثر جداً ممَّا نطلب أو نفتكر» (أف٣: ٢٠-٢١). إن قوَّته اليوم حقيقيّة كما كانت يوم أن أتاه البرص ليطهروا. إنه ليس فقط له القوَّة، ولكنه أيضاً يعطي القوَّة، فالضعيف الذي بلا رجاء لا يعود فيما بعد يائساً: «منتظرو الرب يجدِّدون قوَّة .. يركضون ولا يتعبون،يمشون ولا يعيون». هذا كلام قاله شخص اختبر شخصياً قوَّة اللّه. إنه إشعياء النبيّ.

سأل **الملك داريوس** دانيال في العهد القديم: «هل إلهك الذي تعبده دائماً، قَدِرَ أن يُنَجِّيكَ من الأسود؟» (دا٦: ٢٠)، كان الردّ بالإيجاب.

إن اللّه قَدِرَ أن يُنجّي دانيال من الأسود، واليوم نفس الإله قادر أن ينجّينا منَ أنواع أخرى من الأسود: **أسد تثبيط العزيمة، أسد الهزيمة، أسد الموت**، إن اللّه عظيم بدرجة كافية، ومتمكِّن بدرجة كافية إن سَمحنا له أن يكون لنا إلهاً، وذلك بأن نثق فيه بكفاية. وحيث إننا أبناء ولسنا دُمىً، فإن قوَّة اللّه يمكن أن تُحَدَّ فقط بافتقار إيماننا. يقول يسوع: «كل شيء مستطاع للمؤمن»، ونقرأ في: (مت١٣: ٥٨) أن يسوع: «لم يقدر أن يصنع هناك قوَّت كثيرة لعدم إيمانهم». إنّ قوَّة يسوع وقدرته تُدرَك لأولئك الذين يؤمنون به بدرجة كافية تجعلهم يُسلِّمون أنفسهم في يده.

إبّان الحرب العالميّة الأولى، ذهب أمريكي ليستشير كاهناً في أمر ما، فوجد بيت الكاهن قد ضُرب بالقنابل، وجزءاً من السقف قد عُصِفَ به، ووجد الكاهن واقفاً عند رأس الدرج بطوله المشوق وهو هادئ تماماً، مُشرق الوجه، لامع العينين ويداه ممدودتان. انعصر قلب الأمريكي وقال: «يا سيِّدي، كيف تبتسم هكذا وبلدك يتحطّم؟». أجابه الكاهن: «هل نسيت أنني تحت أوامر قائد لا يمكن أن يُقهَر ؟».

أنتَ تأتي إلى ملك،
وأنت محمّل بطلبات كثيرة،
ولكن نعمته وقوّته حاضرتان،
بشكل لا يجعل أحداً يسأل كثيراً.

جـون نيـوتن John Newton

المناولة الأُلهيّة المقدسة هي دواء الخلود

تـزَوَّد من الـذي لا بـدَّ منه	فـإنَّ المـوتَ ميقـات العبـاد
وَتُب مهما جَنيتَ وأنتَ حيٌّ	وكُـن متنبّـهاً قَـبل الـرُّقـاد
ستندم إذا رحلتَ بغير زادٍ	وستشقى عندما يناديكَ المناد
أتَرضى أن تكون رفيق قومٍ	لهـم زادٌ وأنـت بغـيـر زادِ

النبي الهارب والشعب التائب

للقديس كيرللس الأسكندري

الجزء الثاني والأخير

لماذا أُرسِلَ يونان إلى شعب وثني في نينوى ؟

مناداة يونان في نينوى

«ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلاً: قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا» (يونان٣: ١-٢)

انتهز الله فرصة حماس يونان وأمَرَه أن يذهب إلى نينوى مرةً أخرى بنفس الرسالة. وقد شابه يونان المسيح الذي مكث في باطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، إذ ذهب إلى أعماق قلب البحر، وكأنه نزل إلى أسافل الجبال، وهبطَ إلى مغاليق الأرض التي أغلقت عليه قضبانها بإحكام ولكن المسيح سَلَبَ الجحيم وبشَّر الأرواح الموجودة هناك، وفَتَحَ الأبواب الموصدة، وعاد إلى الحياة مرةً أخرى إذ تحررت حياته من الفساد، وظهر بحالته هذه لأولئك النسوة اللائي كُنَّ يبحثن عنه ثم للرسل ثم إنَّ رسالة الرب وصلت أخيراً أيضاً إلى الأمميين بواسطة الرسل المباركين. ومع أنه كان قد قال للرسل:«إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.» (متى١٠: ٥-٦)؛ إلاَّ أنه جعلهم يبشِّرون أخيراً برسالته التي جاء من أجلها للجميع. وكانت وصايا إنجيله واحدة لكلٍّ من إسرائيل والأُمم الذين نحن منهم والذين دُعينا إلى القداسة بواسطة الإيمان ، «فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لله مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى.» (يونان٣: ٣-٤)

ونادَى وقال: بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى (يونان ٣: ٣-٤). لقد مُنح النبي غيرةً لا تُقاوَم، وانطلق إلى مهمته بنشاط ودخل تلك المدينة الأجنبية لكي يوفي الأحكام الإلهية ورغم أنها كانت مدينة كبيرة ممتدة حتى أنها تتطلَّب مسيرة ثلاثة أيام؛ ولكنه عَبَرَها في يوم واحد، بقوة إلهية طبعاً، وأعلن الرسالة الإلهية. لقد أثار دهشتهم إذ أنه رجل عبراني آت من بلاد أجنبية غير معروفة لأحد هناك، وقد سار وسط المدينة وهو يصيح بصوت عال: بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى (يونان ٣: ٣-٤سبعينية). وقد تكلَّم النبي ليس من ذاته بل من فم الرب. والأنبياء غالباً لا يذكرون كل ما قاله الله لهم ولا كل الكلام الذي قالوه هم لله. ونحن نستنتج ذلك من قوله لله: « آه يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي.»(يونان ٤: ٢-٣)

استجابة أهل نينوى بالإيمان والتوبة

«فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ.» (يونان ٣: ٥) ، آمنَ هذا الشعب بالله، هذا الذي كانَ مُداناً بسبب كل خطاياه المتأصِّلة فيه وأصنامه التي بلا عدد، وممارساته الشعبية المُخجلة. ومع ذلك فقد آمنوا بالله من كبيرهم إلى صغيرهم، الشهير والحقير، الغَني والفقير، الجميع شعروا بنفس الغيرة في قبول كلام النبي، وقد استجابوا لدعوته بدون تردُّد لإصلاح أنفسهم، وخضعوا للإنذار الإلهي الذي دعاهم للتوبة رغم أنه جاء من أجنبي وحيد لا يعرفونه. **في حين أنَّ إسرائيل بغبائه لم يُطع الناموس وسخر من الوصايا الموسوية ولم يستوعب كلام الأنبياء؛ بل إنهم صاروا قاتلين للرب، ولم يؤمنوا بالمُخلِّص** وهذا هو ما قاله الله لحزقيال النبي: «اذْهَبِ امْضِ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكَلِّمْهُمْ بِكَلاَمِي. لأَنَّكَ غَيْرُ مُرْسَلٍ إِلَى شَعْبٍ غَامِضِ اللُّغَةِ وَثَقِيلِ اللِّسَانِ، بَلْ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. لاَ إِلَى شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ غَامِضَةِ اللُّغَةِ وَثَقِيلَةِ اللِّسَانِ لَسْتَ تَفْهَمُ كَلاَمَهُمْ. فَلَوْ أَرْسَلْتُكَ إِلَى هؤُلاَءِ لَسَمِعُوا لَكَ. لكِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَسْمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَشَاؤُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لِي. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ صِلاَبُ الْجِبَاهِ وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ. (حزقيال ٣: ٤-٧).

«وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلاً: لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً. وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ. لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ.» (يونان ٣: ٦-٩)

لقد أظهر مديحه لاستجابتهم بتفاصيل كاملة، وأُعجب جداً باستعدادهم للتوبة. وحتى ملكهم ترك عرشه ورداءه الملكي وتغطَّى بالمسوح رداء النوح. وإذ جلس على الرماد، أعطى مثالاً لغيره لكي يُمسكوا عن الطعام ويُصلُّوا بلا انقطاع متوسِّلين إلى الله لأجل الرحمة لقد كان أهل نينوى حكماء، إذ كرَّسوا أنفسهم **للإقلاع عن**

الفساد بواسطة **الصوم** الذي هو العمل الأصيل الوحيد للتوبة. أمَّا شعب إسرائيل فلم يهتموا بذلك بل أنهم أحياناً كانوا يُقدِّمون صوماً يُعتبر دنساً كما قال إشعياء النبي: «هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسَرَّةً، وَبِكُلِّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخِّرُونَ. هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ، وَلِتَضْرِبُوا بِلَكْمَةِ الشَّرِّ. لَسْتُمْ تَصُومُونَ كَمَا الْيَوْمَ لِتَسْمِيعِ صَوْتِكُمْ فِي الْعَلاَءِ. أَمِثْلُ هذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ الإِنْسَانُ فِيهِ نَفْسَهُ.»(إشعياء ٥٨: ٣–٥).

أما أهل نينوى، فقد آمنوا بالله وقدَّموا صوماً نقياً بلا لوم، إذ اعتقدوا أنه لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ. (يونان ٣:٩) بسبب صلاحه وطيبة قلبه.

ومن الناحية الأخرى فهو يُعاقب الخطاة والذين يتورطون في القساوة بعناد، إذ يفرض غضبه كنوع من اللجام لكي يُعنِّفهم ويأتي بهم إلى الإذعان. أمَّا بخصوص صوم البهائم، فقد كان نوعاً من المغالاة، وليس من الضروري أن يكون قد حدث ذلك، ولكن الكتاب ذكر ذلك لكي يُوضِّح درجة توبتهم غير العادية! إنه ينسب المعاناة أيضاً للحيوانات.

رجوع اللّه عن غضبه:

«فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ» (يونان٣: ١٠).

هكذا يُسرع الرب في إظهار رحمته وخلاصه للتائبين. وهو يُريحهم في الحال من جرائمهم السابقة إذا كفُّوا عن خطاياهم، وهو يرفع غضبه ويُبدِّله بمعاملة طيِّبة.

وهو ما قاله الرب لحزقيال النبي:«لِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ ؟ لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا.» (حزقيال١٨: ٣١–٣٢).

«فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي.» (يونان٤: ١–٣).

فطالما أنَّ الله رؤوف على الذين يتفادون غضبه بالتوبة، وحتى لو مضى الوقت على إتمام ما كان مُقدَّراً لهم، وما تنبَّأ به عليهم النبي كان قد جاء وقت حدوثه؛ ومع ذلك فإنه لم يحدث، لذلك شعر يونان بغمٍّ شديد، وذلك ليس لأن انقلاب المدينة لم يحدث، ولكن لأنهم أخذوا عنه انطباعاً بأنه كاذبٌ مهذار. لقد أراد أن يتجنَّب ذلك فأقرَّ بأنه هرب إلى ترشيش، حتى لا يكون موقفه مهزوزاً لأنه اعترض على الله الذي يعلم كل شيء ويمكنه أن يُغيِّر فكر الإنسان، فهو شافي الأرواح الذي يمكنه أن يُهدِّئ ضراوة شهواتنا بالمصاعب أحياناً وبأعمال رحمته أحياناً أخرى.

اكتئاب يونان وتشجيع الله له:

«فَقَالَ الرَّبُّ: هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ (أو بالحقِّ)؟. وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ ؟» (يونان٤: ٤–٥).

فلكي لا يجعل الله النبي فريسةً للاكتئاب، زوَّده بالحيوية في ضعفه، مؤنِّباً إيَّاه برقَّة على هذا الاكتئاب وعلى فشله في إدراك الغرض من الأحكام الإلهية، إذ مرت الأيام ولم يُنفِّذ الله تهديده لهم، لقد اعتقد أن الكارثة تأجَّلت بسبب أنهم قرَّروا أن يتوبوا، ولكن الغضب الإلهي سوف تظهر نتائجه إنْ لم يصنعوا أعمالاً تليق بالتوبة وتتناسب مع خطاياهم. ولذلك ترك النبي المدينة لكي ينتظر ما سيحدث لهم، وتوقَّع أن المدينة ربما تحترق مثل سدوم، ولكن خيمته في الواقع هي التي تحطَّمت.

القديس كيرللس الأسكندري

«فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً (شجرة خروع) فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا.» (يونان٤: ٦).

هكذا أعدَّ الرب اليقطينة لفائدة النبي، كما أعدَّ الحوت لكي يبتلعه. فكبرت اليقطينة سريعاً، ليس فقط لتُظلِّله من الحرِّ، بل الأهم هو لكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. (يونان٤: ٦). فشعر يونان بالسعادة والميل إلى الاحتفاظ ببساطة الذهن مثل الأطفال الذين تشغلهم الأشياء المُفرحة عمَّا يُحزنهم.

«ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ. فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي.» (يونان٤: ٧–٨) ، والمقصود من الدودة عند الفجر هو الجراد لأنه يتخذ وجوده من ندى الصباح. وضَرَبَ الجراد اليقطينة بقسوة، فلما يبست وهبَّت الريح الحارة حُرِمَ النبي من الظل فتفاقم سُخطه حتى اشتهى الموت .

اللّه يوضِّح الهدف من القصة كلها:

«فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ (أو بالحقِّ) مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ ؟ فَقَالَ: اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ.» (يونان٤: ٩)، لاحظ مرةً أخرى إله الجميع في معاملته الرقيقة وحبه للنفوس البريئة، وأنه لا يُقصِّر بأيِّ حال عن إبداء عاطفة الأبوَّة. فلم يَعُد يونان يلوم رقَّة الحب الإلهي عندما قرَّر أن يُشفق على أهل نينوى؛ بل اعترف بغيظه ممَّا جعل الله يشرح له سبب تدبيره لتلك القصة كلها «فَقَالَ الرَّبُّ: أَنْتَ شَفَقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتُ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتُ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ ؟.» (يونان٤: ١٠–١١).

كيف يمكننا أن نفتح أفواهنا لنُقدِّم تسابيح الشكر لذاك المملوء بالرأفة والصلاح؟ إنَّ الرب يُبعد عنا معاصينا، فهو مثل أب يُبدي الرأفة على أبنائه، هكذا هو يتراءف على الذين يخافونه لأنه يعرف جبلتنا «وكَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا سيئاتنا. وكَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائفيه. لأَنَّهُ عَرفَ جبْلَتَنَا. وذَكَرَ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ».(انظر مز١٠٣:١٢-١٤).لاحظ كيف يُظهر الرب اكتئاب يونان في وقت غير مناسب رغم كونه ملتزماً أن يمدح الرب على صلاحه كنبي قديس. فإذا كان هو قد بلغ إلى اكتئاب فائق الحدِّ بسبب ذبول اليقطينة، أفلا يُشفق الرب على كل هذا الشعب الذي لا يعرف يمينه من شماله؟ كما أنه يُشير إلى شفقته على البهائم، لأنه إن كان الصِّدِّيق يُشفق على نفس بهيمته (أم ١٢:١٠سبعينية).. «الصِّدِّيقُ يُرَاعِي نَفْسَ بَهِيمَتِه، أَمَّا مَرَاحِمُ الأَشْرَارِ فَقَاسِيَةٌ.» (أمثال ١٢:١٠) ، وهذا يُضاف إلى فضله، فلا غرابة أن يُشفق الرب على البهائم أيضاً وهذه هي الطريقة التي خلَّص بها المسيح كل أحد، إذ بذل نفسه لأجل الصغير والكبير، الحكيم والجاهل، الغني والفقير، اليهودي واليوناني، والذي قيل عنه: «النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ. مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ.» (مز٣٦:٦-٧)،الذي له المجد والقوة مع الآب والروح القدس الصالح والمُحيي إلى الأبد، آمين

حدث ان شاباً كان يعيش في احدى المدن ويتحلى بسمعة طيبة وأخلاق حميدة متمتعاً بنظرة رضى واستحسان من كثيرين من أهالي بلدته لكنه وللأسف تورط في احد الأيام بلعب الورق مع بعض اصحابه حيث احتدّ وفقد اعصابه وما كان منه الا ان سحب مسدسه واطلق النار على خصمه في اللعب فقتله.

فألقي القبض عليه وسيق الى المحكمة وحكم عليه بالاعدام شنقاً!

لكن بسبب ماضيه الممدوح واخلاقه المُرضيَة فقد كتب اقرباؤه ومعارفه واصدقائه عرائض استرحام كانت تحمل تواقيع كل أهل البلدة تقريباً وفي خلال فترة قصيرة سمع أهل المدن والقرى المجاورة بالقصة وتعاطفوا مع الشاب المسكين فاشتركوا في توقيع عرائض استرحام أخرى.

بعد ذلك قُدمت هذه العرائض الى حاكم المنطقة والذي حدث انه كان مسيحياً مؤمناً وقد ذُرفت الدموع من عينيه وهو يرى مئات الاسترحامات من أهل البلدة والبلدان المجاورة تملأ سلة كبيرة أمامه. وبعد تأمل عميق قرّر ان يعفو عن الشاب، وهكذا كتب أمر العفو ووضعه في جيبه من ثم لبس ثوب رجل دين وتوجه الى السجن.

حين وصل الحاكم الى زنزانة الموت، نهض الشاب من داخلها ممسكاً بقضبانها الحديدية قائلاً بصوت غاضب:«اذهب عني، لقد زارني سبعة على شاكلتك لحد الآن، لست بحاجة الى مزيد من التعليم والوعظ. لقد عرفت الكثير منها في البيت.» «ولكن» قال الحاكم ، «ارجو ان تنتظر لحظة ايها الشاب، واستمع الى ما سأقوله لك».

«اسمع» صرخ الشاب بغضب، «أخرج من هنا حالاً والا فسأدعو الحارس».

«لكن ايها الشاب»، قال الحاكم بصوت مرتفع، «لدي أخبار تهمك جداً، ألا تريدني أن أخبرك بها؟» .

«لقد سمعت ما سبق وقلته لك»! رد الشاب، «أخرج فوراً وإلا فسأطلب السجان» .

«لا بأس» أجاب الحاكم وبقلب مكسور استدار وغادر المكان. وبعد لحظات وصل الحارس وقال للشاب:

«انت محظوظ لقد حظيت بزيارة من الحاكم».

«ماذا!» صرخ الشاب، «هل كان رجل الدين هذا هو الحاكم؟»

«نعم انه الحاكم» أجاب الحارس، «وكان يحمل لك العفو في جيبه لكنك لم ترد ان تسمع وتصغي الى ما سيقوله لك».

«أعطني ريشة، أعطني حبراً، هات لي ورقاً» ، صرخ الشاب بأعلى صوته. ومن ثم جلس وكتب ما يلي: «سيدي الحاكم، أنا أعتذر لك، وأني آسف جداً لما بدر مني وللطريقة التي استقبلتك بها... الخ».

استلم الحاكم رسالة الاعتذار تلك، وبعد أن قرأها قلبها وكتب على الوجه الآخر للورقه: «لم تعد تهمني هذه القضية».

بعدها جاء اليوم المعيّن لتنفيذ الحكم في الشاب. وعند حبل المشنقة توجه له السؤال التقليدي المعروف: «هل هناك ما تريد قوله قبل أن تموت؟.» ، «نعم» قال الشاب:

«قولوا للشباب حيث كانوا انني لا أموت الآن بسبب الجريمة التي اقترفتها. أنني لا أموت لأنني قاتل! لقد عفا الحاكم عني، وكان يمكن أن أعيش. قل لهم انني أموت الآن لأنني رفضت عفو الحاكم ولم أقبله، لذلك حرمت من العفو» .

والآن يا صديقي، ان هلكت فذلك ليس بسبب خطاياك، بل لأنك لم تقبل العفو الذي يقدمه لك اللّه في ابنه الوحيد. لأنك إن رفضت قبول يسوع المسيح، رفضت رجاءك الاوحد للخلاص؟ «الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد»(يو٣:١٨) . **ذلك هو سبب دينونتك يا صديقي**. أنت لا تدان لأنك لست متديناً، ولا لأنك لا تمارس الفرائض او الواجبات الدينية: بل أنك تدان لسبب واحد، ألا وهو رفضك لعرض رحمة الله». **الذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن**. وكما يقول الشاعر:

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهداً والموتُ ويحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا
وَارْقُبْ مِنَ اللَّهَ وعداً ليسَ مُخْلِفُهُ لا بـدَ للّهِ من إنـجازِ ما وَعَـدا

كيف تشهد للرب

«...وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصَى الأرض»

الجزء الثالث والأخير

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

إهزم شرك لا أخاك:

لهذا لم يقف بولس عند هذا الحد في نصحه، بل عندما يفرغ كلاهما من الغضب يقدم الوضع السليم قائلاً: «لا يغلبنك الشر». وكأنه يقول «إن كنت تحمل غيظًا وتبحث عن الانتقام، فإنه حقًا يبدو كأنك تهزم عدوك. لكن في الحقيقة تكون أنت المغلوب بالشر أي بالغضب».فإن أردت الغلبة اصطلح ولا تهاجم خصمك. فإنها نصرة عظيمة أن تغلب الشر وتطرد الغضب والحنق، بصنع الخير أي الاحتمال. إذًا هل أدركت حكمت المشرع؟! ولكي تتعلم أنه جاء بهذه الوصية هكذا بسبب ضعف الذين لا يقتنعون أن يصطلحوا... أسمع ما يقول السيد المسيح عندما شرع وصية في نفس الأمر دون أن يضع نفس الجزاء بل قال: «أحبوا أعدائكم... احسنوا إلى مبغضيكم» (مت٥:٢٢) ، أي قدموا لهم طعامًا وشرابًا... «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات» (مت٥:٤٥) ، موضحًا لهم هذا الجزاء لأنه كان يحدث بطرس ويعقوب ويوحنا وبقية الرسل...

مثال عملي:

لقد اقتبس الرسول نفس كلمات سليمان (أمثال٢٥:٢١-٢٢)، ليقنع المستمع الذي بلغ درجة روحية عالية ، هكذا يراعي ما جاء في الناموس القديم كأمر نفذه أناس من رجال العهد القديم. كثيرون نفذوا هذه الوصية من بينهم داود الذي نفذها في صورة سامية، إذ بالحقيقة لم يقدم لعدوه طعامًا وشرابًا فحسب، بل وأنقذه دفعات كثيرة من الموت. فعندما كان في جبعة وكان في إمكانه أن يقتل لم يفعل هذا مرة ومرتين... نعم بل ومرات كثيرة.وبقدر ما كان شاول يكرهه ويضايقه، كان هو يقدم له خيرًا وصلاحًا كثيرًا. فبعدما أنتصر داود إنتصارًا باهرًا أمام شاول...لم يطق شاول أن يذكر اسمه بل كان يدعوه باسم أبيه. فبعدما أعدت الوليمة ودبر قتله ونفذت الخطة قال شاول «لماذا لم يأت أبن يسى» (١صم٢٠:٢٧)، إذ لم يطق أن ينطق أسمه الحقيقي... كما أراد أن يحطم مركز هذا الرجل المرموق بذكر أصله.

يا له من فكر بائس ومحتقر، لأنه إن كان في الأب عيوب، فهذا لا يسيء إلى داود، لأن كل إنسان يسأل عن أعماله هو، وبها يمدح أو يذم.لقد دعاه «ابن يسى» (للتحقير)، أما داود فعندما وجد شاول نائمًا في الكهف لم يدعه «ابن قيس» بل كرمه قائلاً: «حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب» (١صم٢٦:١١).

هكذا كان داود في نقاوة متحررًا من الغضب أو الاستياء من الأضرار، فهل يستحق هذا الذي أرتكب ضده شرورًا كثيرة، وكان متعطشًا لسفك دمه، ومحاولاً أن يهلكه، أن يُدعى بـ «مسيح الرب».

أنه لم يهتم ما يستحقه شاول بل فكر فيما يليق به هو أن يفعله حسبما تمليه عليه الحكمة.أنه لم يتطلع إلى الظروف أنها تسهل عليه عملية قتل شاول بل كانت ملاحظته دقيقة من جهة الحكمة التي تكون له. هل استطاعت نصيحة القائد له وحثه على ارتكاب الجريمة، وهل استطاع تذكره للماضي أن يعزيه على القتل؟! لم يستطع شيء من هذا أن يثيره. لكن الفرصة المهيأة له للقتل بسهولة حولته عن إرتكاب الفعل، إذ فكر هكذا أن الله وضع شاول تحت يده ليختبر حكمته.

ربما تعجب من داود لأنه لم يفكر في أي شيء سابق، لكن الذي يدهشني أنا أنه لم يقسي يده على شاول خوفًا من الظروف المقبلة. لأنه يعلم تمامًا أنه إن فلت شاول من يديه فسيكون فيما بعد خصمًا له...لكنه أستحسن أن يعرض نفسه للخطر مسامحًا من أساء إليه على أن يضمن لنفسه أمانًا مستخدمًا العنف مع عدوه.

يا لعظمة هذا الرجل! ويا لسمو روحه! هذا الذي كان الناموس يطالبه «عين بعين وسن بسن» (تث١٩:٢١) ، فإنه لم يبلغ إلى هذه الدرجة فحسب بل نال درجة عالية من الحكمة.ولم تقف حكمته في عدم قتل شاول الخصم العنيف، بل ولم ينطق بكلمة غير لائقة ضده، مع أنه لو تكلم ما كان شاول يسمعه.

أما نحن فكثيرًا ما نتكلم بالشر حتى ضد أصدقائنا عندما يكونون غائبين. يا لحنان روحه! إنه بحق قد تبرر كما جاء في القول: «أذكر يا رب داود وكل دعته (وداعته)» (مز١٣١:١).لنقتد به فلا ننطق بكلمة ضد عدونا ولا نصنع به شرًا بل نقدم له الخير قدر المستطاع، فإننا بهذا نصنع خيرًا مع أنفسنا أكثر مما نصنعه معهم.

فقد أمرنا ربنا يسوع المسيح أن «نغفر لأعدائنا فتغفر خطايانا» (مت٦:١٤). ليتنا نشتاق بشغف أن نتصالح مع من يضايقوننا، سواء أكانوا يفعلون هذا بعدل أو بظلم. فإننا إن اصطلحنا هنا نخلص من الدينونة في العالم الآتي... ولكن إذا جاء الموت في الفترة التي فيها البغضة قائمة، وحمل معه العداوة فسينظر في القضية في الدهر الآتي. كما أن كثيرين عندما يكونون في نزاع مع غيرهم، يتلاقون مع بعضهم البعض بروح الصداقة خارج المحكمة فيخلصون أنفسهم من الخسارة والخطر والمتاعب التي تلحق الطرفين، أما إذا تُرك الأمر أمام القاضي فسيلحق كلاهما خسارة مادية، كما قد يلحقهما عقوبة، وتبقى العداوة بينهما دائمة. هكذا نحن أيضًا إذا بقينا في العداوة فسنرحل إلى المحكمة المهيبة في العالم الآتي وندفع حتمًا العقوبة حسب أمر الديان. ويخضع للعقوبة المحتملة كل من الذي غضب ظلمًا لأنه فعل هذا، والذي غضب بعد لأنه أبقى الحنق. لهذا يلزمنا إذا عوملنا معاملة رديئة ظلمًا أن نغفر لمن يخطئ في حقنا.

التتمة في ص ١٧

ارفعوا الحجر

للقديس بطرس كريزولوغوس

في فصل إقامة لعازر،يقول القديس يوحنا الإنجيلي: «فانزعج» («فأنَّ» من «أنين» باللغة اليونانية) يسوع أيضاً في نفسه ، وجاء إلى القبر، وكان مغارةً وقد وُضِعَ عليه حجر» (يو١١:٣٨). لقد أَنَّ «الروحُ» لكي يرجع الجسد إلى الحياة، أَنَّت «الحياةُ» حتى يهرب الموت، أَنَّ «الله» حتى يقوم الإنسان، أَنَّ «الغفرانُ» لئلا يكون حُكْم القضاء سلبياً أو غير ملائم. المسيح يئنُّ عندما يقهر الموت، لأن الذي ينتزع النصرة على العدو التي لا نظير لها لا يمكنه إلاَّ أن يئنَّ. ولكن كونه أَنَّ مرةً أخرى، فإنَّ ذلك لكي يُقدِّم دليلاً على قيامة مُضاعفة، وذلك حيث إنه كما أنه بصوت المسيح يقوم الأموات بالجسد من قبورهم؛ هكذا فإنَّ الأموات في عدم إيمانهم يقومون إلى حياة الإيمان.

يقول الإنجيلي: «وكان مغارةً». ولكن كان يكفي أن يقول إنَّ الرب: «جاء إلى القبر»، فلماذا اهتم بذكْر أنه كان مغارةً؟ لقد كانت بالتأكيد مغارةً تلك التي أودع الشيطان البشر فيها بلصوصية، مغارةً دفنت فيها خداعاتُ المرأة الإنسانَ، مغارةً حَبَسَ فيها جشعُ الموت خليقةَ الله.«كان مغارةً وقد وُضِعَ عليه حجرٌ». لقد أُوصد باب الموت القاسي بحجر أشدَّ قسوة. ولكن ما هو الخير الذي ينتَج عن البكاء عند القبر طالما أنَّ صوت البكاء لا يخترق مثل تلك الحواجز الصلبة الكثيفة؟ أيها المسيحيون، دعونا نبكي أمام الله بسبب خطايانا، ولا نبكي مع الوثنيين أمام الموتى الذين لا يسمعوننا!

أَلاَ يمكن للقدير أن يرفع الحجر؟:

«قال يسوع: ارفعوا الحجر» (آية٣٩). مع كل القوات الإلهية التي يمتلكها المسيح، هل يحتاج إلى معونة بشرية؟ أَلاَ يستطيع ذاك القادر أن يقهر الموت أن يرفع الحجر؟ أَلاَ يستطيع ذاك الذي يملك القدرة على أن يفتح أبواب الجحيم أن يحلَّ حواجز القبر؟ إنه قال بالنبي: «أنزع قلب الحجر من لحمهم وأُعطيهم قلب لحم» (حز١١:١٩). وعلى ذلك، فقد أَمَرَ الربُّ اليهودَ أن ينزعوا قلبهم الحجري من نفوسهم، أن يُدحرجوا صخرة عدم الإيمان، أن يدفعوا عنهم حجر الشك الصوَّان الصلب، وذلك حتى أن نفوسهم الميتة، بخلوها من الإيمان، تندفع خارجةً من قبور قلوبهم، ولكي يفرحوا، ليس كثيراً بأنَّ لعازر يقوم مثلما يفرحون بقيامتهم هم مع لعازر. أزيلوا عبودية البشرية البائسة حتى تضيء الآن أعمال اللاهوت المبارك. ارفعوا الحجر الذي وضعتموه في مكانه حتى يمكنني الآن أن أُجدِّد الإنسان الذي وضعته في مكانه.

فقالت له مرثا: «يا سيد، قد أنْتَن لأن له أربعة أيام» (آية٣٩). وهذا خطأ مَنْ، يا امرأة، حتى أنه توجد نتانة؟ إنك الآن تهتمين بشيء هو لك في الأصل، فإنك ما كنت ستشتمِّين أية نَتانة من القبر لو كنت قد رفَضت أن تستمعيَ للمُجرِّب في الفردوس. إنَّ ما يُسبِّب نتانةً للمُخرِّب لا يفَعل ذلك للخالق. إنَّ ما يجده ذاك الذي يُحطِّم عمل شخص آخر مثيراً للاشمئزاز لا يُقاوم الله الذي يحب عمله. ولكن قولك هذا، أيتها المرأة، يشهد للموت الذي جلبته أنت، وينشر النتانة حتىَ يصير اكتمال الموت معروفاً للحاضرينَ، وذلك حتى تُنسَب إقامة لعازر إلى روحه الراجعة، وليس إلى روحه وهي مختفية(١)؛ حتى تُنسَب الإقامة للقوة الإلهية، وليس للمهارة البشرية، وحتى أن اليهود الذين يقولون إننا نُخرج الأرواح الشريرة بواسطة رئيس الشياطين لا يقولون هذه المرة إننا نُقيم الموتى بمعونة بشرية وليس بسلطان إلهي.وقد ذكرت مرثا الأربعة أيام لكي يعلم الجميع أنَّ الرب هو الذي أوجد الزمن وأنَّ الزمن لايفرض عليه أية قيود. وقول مرثا هذا يُضاعف من اليأس حتى يعلم الحاضرون أنه هو الله من الطريقة التيَ يُحيي بها الميت، وأنه هو خلاص اليائسين وباعث الحيوية للذين تفسد أجسادهم.

صلاة الرب قبل إقامة الميت:

«ورفع يسوع عينيه إلى فوق» (آية٤١)، ذلك لكي يُرينا كيف نتضرَّع وليس لكي تتقوَّى نفسه بطريقة التوسُّل. لأن ذلك الذي هو على الدوام مع أبيه يرفع بصره، ولكن الآب فيه وهو دائماً في الآب، إذ يقول: «أنا في الآب والآب فيَّ» (يو١٤:١٠). ثم قال الرب: «أيها الآب، أشكرك لأنك سمعتَ لي»، فهو يشكر على ما مُنِحَ له وأنَّ الآب سمع له، ولكنه لم يذكر مطلبه! أيها الإخوة، يوجد بين الآب والابن انفتاح كامل للسمع، فلا حاجة إلى التضرُّع. إنه يوجد انسجامٌ منبثقٌ من المودَّة ويخلو من إعطاء الأوامر، فكل شيء يتم بالحب حيث لا حاجة للخضوع كما هو واضحٌ من الآية: «أشكرك لأنك سمعتَ لي، وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي» (آية ٤١، ٤٢). فعندما يكون لدى المرء ثقة أكيدة بخصوص الاستماع له، فلا حاجة لأن يترجَّى طلباً. أو ما هو الداعي إلى الاستغاثة ما دامت الوسيلة للاستجابة حاضرة لدى الجميع؟ إذن، فلا يُقلِّل أحد من أهمية الابن على أساس تلك الصلوات، ولا يُنقص من دور الآب في الخلاص البشري.

ولكن، لماذا تكلَّم الابن بهذه الطريقة؟ ذلك لأنه يُظهر العاطفة بينه وبين الآب، فهو يُظهر الاعتراف بفضل الآب ويَتكلَّم عن وحدتهما معاً. فقد قال: «كلَ ما للآب هو لي» (يو١٦:١٥). ولكن إذا كان كل شيء ملْكاً له، فلماذا يلتمس طلباً؟ إنه عندما يلتمس المرء ما هو له بالفعل، فَإنَّ الطلب يتحقَّق ليس بسبب أيِّ احتياج، بل من الحب!

«وأنا علمتُ أنك في كلِّ حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ، ليؤمنوا أنك أرسلتني» (آية٤٢). قال المسيح ذلك لكي يعلم الناس أنه جاء من السماء ولكنه لم يُغادر السماء، ولأنه مُرسَلٌ من الآب فهو أيضاً يتلقَّى ما هو له بالفعل تماماً كما لو أنه لم يترك المكان الذي جاء منه، وفي نفس الوقت لا يفقد الآب ما يُعطيه.

أيها الإخوة، كَوْن الرب يسوع يُسمَع له، وكونه أُرسل، وكونه جاء، وكونه يأخذ، وكونه يُولَد، وكونه يتألَّم، وكونه يموت ثم يقوم؛ كل ذلك وقع على الطبيعة البشرية الضعيفة التي اتَّحد لاهوته بها. وعلى ذلك، فإنَّ كل ما تحمَّله (الرب) نيابةً عنا في جسدنا، احتمله ليس من أجل نفسه في جلاله (وإنما من أجلنا).وما الذي يعنيه الرب بقوله: «أشكرك لأنك سمعتَ لي»؟ عندما بدأ المسيح يخترق أبواب العالم السُّفلي، ويقتحم أبواب الجحيم، ويشقُّ مدخل الموت، ويُلاشي ناموس جهنم القديم، ويتخلَّص من أحقية العقاب العتيق، ويتطلَّب رجوع روح لعازر؛ واجهته قوة الجحيم بكل غضبها، وهو يُلوِّح بمنشور حاكم السماء، حاملاً قرار الملك العَلي، مُقدِّماً الحُكْم الذي خرج من فم اللّه وأصبح أمراً نافذ المفعول لسنين عديدة. ولما رأى الجحيمُ المسيحَ، سأل: «**مَن هو هذا؟ وماذا كانت مقاصده؟ وما هو غرضه؟ ولماذا كان بمفرده يتحدَّى بلا خوف ويُهاجم مدخل الموت المخيف**»؟

فأجاب عليه الملائكة خُدَّام القيامة بكلمات النبي: «هو ملك المجد... الرب القدير الجبَّار في القتال» (مز٢٣:٨-١٠). ولكن العالم السُّفلي قال: «**أنا أعلم أن ملك المجد مسئولٌ في السماء عن جميع القوات السمائية، والخليقة كلها غير قادرة أن تُتَمِّم مشيئته. ولكن هذا الذي أراه إنما هو أحد الأرضيين، مخلوق من طين، محصورٌ في جسد مائت، وهو في حالته البشرية أحقر من البشر، وهو سيُسلَّم حالاً للقبر، ومصيره أن يكون سريعاً تحت سلطاني**»!

إلاَّ أنَّ الملائكة ظلُّوا مُصرِّين بقولهم: «رب الجنود، هو ملك المجد» (مز٢٣:١٠)، هو حاكم السماء، خالق الأرض، مُخلِّص العالم، فادي الجميع...».ولعل الرب يسوع قال لأبيه: «يا أبي، إنه من العدل أنَّ السجن يقبض ليس على الأبرياء بل على المذنبين، وأنَّ العقاب يُعذِّب ليس الأبرار بل الطالحين. لأنه إلى متى يستمر مُنفِّذ حُكْم الإعدام هذا، بناءً على إثم آدم وحده، أن يسحب إلى الهاوية - بعنفه القاسي - آباء وأنبياء وشهداء ومعترفين وعذارى وأرامل والذين عاشوا في عفة الزواج، أُناساً من جميع الأعمار من كلاَ الجنسين وحتى أطفالاً صغاراً لا يعرفون الخير أو الشر؟ يا أبَي، إنني سوف أموت حتى لايموت الكل. إنني سوف أدفع دين آدم، وذلك حتى أنه بواسطتي فإنَّ الذين يموتون بسبب آدم في العالم السُّفلي يَحْيَون لأجلك أنت. يا أبي، بناءً على حُكْمك سوف أسفك دمي حتى ترجع خليقتك إليك، لكي يكون ثمن دمي، الذي هو عزيزٌ لديك، فداءً لجميع الموتى»!

وهكذا اتفق الثالوث الأقدس على ذلك وأَمَرَ لعازر بمغادرة العالم السُّفلي الذي أُمرَ أن يطيع المسيح بإعادة جميع الموتى. ولهذا السبب قال الابن: «أيها الآب، أشكرك لأنك سمعتَ لي». وهكذا يشهد الإنجيلي أنَّ المسيح هو المحامي عنَّا في حضرة الآب.

وهكذا اكتمل توسُّل المسيح كمحام عندما «صرخ بصوت عظيم: لعازر هَلُمَّ خارجاً» (آيـة٤٣)، حينئذ أعاد العالم السُّفلي، بخوف ورعدة، لعازر «ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة» (آية٤٤) حتى لا يُجبَر على إرجاع الجميع. لأنه إن كان الشيطان قد اعترض على ميخائيل رئيس الملائكة مُحاجّاً عن جسد موسى (يهوذا ٩)، فكيف لا يعترض العالم السُّفلي على المسيح بخصوص حياة لعازر وقيامته؟

فصلُّوا، أيها الإخوة، حتى أننا نحن الذين أخذنا رشفةً من القيامة مع لعازر مُقدِّمين النخبة، لعلنا نستحق أن نرتشف الجرعة كلها في القيامة العامة.

١) معجزتا إقامة إبنة يايروس وابن الأرملة لم تكونا خطيرتين مثل إقامة لعازر بعد أربعة أيام. ففي بعض النصوص الربيَّـة هناك مفهوم بأنّ روح الميّت تحوم حول الجسد لمدّة ثلاثة أيام تستحيل بعدها أيّة قيامة !!! انظر شرح H.L.Strack للعهد الجديد من التلمود والمدراش: 545,444:2

تتمة المقال من ص ١٥

لاحظوا كيف يحث المتألمين ظلماً ويشجعهم للمصالحة مع من أساءوا إليهم «فإن قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت إن لأخيك شيئًا عليك فأترك قربانك قدام المذبح وأذهب أولاً إصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك» (مت٥:٢٣-٢٤)، إنه لم يقل: «اجتمع معه وقدم قربانك» بل اصطلح وقدم قربانك. انظر أيضًا كيف يدفعكم مرة أخرى للذهاب إلى مضايقيكم، بقوله «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضًا أبوكم السماوي» (مت٦: ١٤)، مقدمًا مكافأة عظيمة ليست بهينة.

تأملوا هذه الأمور جميعها، واحسبوا قدر المكافأة العظيمة، وتذكروا أن غسل الخطايا يتوقف على غفراننا للمسيئين إلينا...**ليت إله السلام والمحبة، الذي ينزع عن أرواحنا كل حنق ومرارة وغضب، يتنازل ويهبنا - بارتباطنا مع بعضنا البعض في وحدة تامة كما ترتبط الأعضاء مع بعضها البعض** (أف٤:١٦) - أن نقدم له باتفاق واحد وفم واحد وروح واحد تسبيح شكرنا الواجبة له. لأن له المجد والقوة إلى أبد الأبد. آمين.

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الرابعة في العمّاد في العقائد العشر

«احذروا أن يسلبكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنّة الناس على مقتضى أركان العالم، لا على مقتضى المسيح. فإنّه فيه يحلّ كلّ ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم ممتلئون فيه، وهو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولسي ٢:٨-١٠)

في الأطعمة

٢٧) ـ القناعة في المأكل:

أما من جهة الطعام، فلتكن هذه قوانينكم، إذ كثيرون يعثرون بسببه. فالبعض لا يُبالي مما يقدّم للأوثان، بينما يمتنع البعض الآخر عن أكله. ولكن في نفس الوقت يدينون مَن يأكلون منه (رومية ١٤:٣).وهكذا بسبب الطعام تتدنّس نفوس البعض (١كور ٨:٧)، لجهلهم أسبابَ الذين يأكلون والذين يمتنعون. فنحن نمتنع عن الخمر واللحم، لا كُرهاً منّا بل أملاً في المكافأة، إذ باحتقارنا الاشياء المادية سنتمتّع بالوليمة الروحية العقليّة. «وإذ نزرع الآن بالدموع سنحصد بالترنيم» في الحياة الآتية (مز١٢٥:٥).فلا تحتقر إذن الذين يأكلون بسبب ضعف أجسادهم (رومية ١٤:٣) ولا تَلُم الذين يتناولون قليلاً من الخمر من أجل معدتهم وأمراضهم المتواترة (١ تيمو٥:٢٣) ، ولا تعتبرهم خطأة لأجل ذلك. لا تكره اللحم كأنه عدوّ، فإن الرسول عرف أناساً من هذا القبيل، عندما كتب: «إنهم ينهون عن الزواج وعن أطعمة خلقها اللّه ليتناولها ويحمد عليها الذين آمنوا وعرفوا الحقّ» (١ تيمو٤:٣). لا تمتنع عن هذه الأطعمة على أنها أمور دنسة، فإنك قد لا تنال أجراً لذلك؛ ولكن أنظر إليها كأشياء صالحة تمتنع عنها للحصول على خيرات وهبات روحية أفضل.

٢٨) ـ لا تأكل مما يقدّم للأصنام:

إحذر أنت من أن تأكل مما يقدّم للأصنام، لأنه في ما يتعلق بهذه الأطعمة، لستُ أنا الوحيد الذي أمنعك عنها، بل **الرسول ويعقوب أسقف هذه الكنيسة**.«وكتب الرسل والشيوخ إلى الجميع رسالةً جامعة لكي يمتنعوا عن ذبائح الأوثان، ثم عن الدم واللحم المخنوق» (أعمال١٥:٢٩،٢٣)، إذ كثيرون من الرجال متوحشون، يعيشون كالكلاب، ذلك أنهم يلعقون الدم كالوحوش الضارية، ويتغذّون من اللحوم المخنوقة. أما أنتَ، يا خادم المسيح، فالتزم الوقار عندما تأكل. وما قلته عن الأطعمة يكفي.

في الملبس

٢٩) ـ البساطة في الملبس:

ليكن لباسك بسيطاً، لأنه ليس للزينة أو التنعّم، بل لتدفئتك في الشتاء وستر عورتك، ولا تتبرهج كثيراً في لباسك بحجّة ستر عورتك، خوفاً من أن يؤدي بك ذلك الى السقوط في ما هو أوهى.

في القيامة

٣٠) ـ القيامة كما تبدو في الطبيعة:

أَرجوكَ أن تستخدم هذا الجسد باعتدال؛ وأعلم أنك عندما تقوم من بين الأموات ستدان بهذا الجسد. واذا ساورك الشكّ بذلك، باعتباره مستحيلاً، فتأمل في نفسك. أخبرني أين كنت منذ مائة عام ونيّف؟ ومن أية مادّة حقيرة ضعيفة أخذت هذه العظمة والكرامة؟ وبما أن الذي لم يكن أصبح كائناً، فلماذا ما هو كائن وسقط لا يستطيع أن يقوم؟ والذي يقيم القمح المائت لأجلنا كل سنة، ألا يقيمنا هو الذي قام (من بين الأموات)؟ أنت ترى كيف أن الأشجار تبقى أشهراً بلا ورق ولا ثمار؛ ولكن حالما يمرّ الشتاء، كل شيء يحيا من جديد، كما لو أنه قام من بين الأموات. ألا ندعى نحن مراراً الى الحياة؟ ان عصا موسى تحوّلت الى حيّة بإرادة اللّه والإنسان الذي مات ألا يمكن أن يعود الى ما كان عليه مرّة أخرى؟

٣١) ـ القيامة إما للحياة وإما للعذاب:

لا تسمع الذين يقولون إن الجسد لا يقوم، لأنه سيقوم. وإليك شهادة أشعيا بذلك: «سيحيا الأموات، والذين في القبور سيستيقظون» (أشعيا ٢٦:١٩). ويقول دانيال: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعار والرذل الأبدي» (دانيال١٢:٢). جميع البشر سيقومون، ولكن القيامة لن تكون ذاتها للجميع. سيحتفظ الجميع بأجسادهم الى الأبد، ولكن لا بالكيفية ذاتها؛ إذ أن الأبرار سيتسلّمون جسدهم ليتمتّعوا مع الملائكة، والأشرار ليبكوا على خطاياهم في العذاب الأبدي.

في العماد

٣٢) ـ توبة العماد:

يمنح الرب، بحسب عظيم رحمته، توبة العماد، لكيما، اذا نحن اغتسلنا من كثرة خطايانا وألقينا عن عاتقنا كل حمل ثقيل (عبرانيين ١٢:١)، وتقبّلنا ختم الروح القدس، نصبح ورثةً الحياة الأبديّة. ولكن بما أننا تحدّثنا بما فيه الكفاية عن العماد في البداية، فلنتناول الآن التعاليم العقائديّة الأخرى.

وبالنسبة للمختارين يقول يسوع بأنّه: «يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من أقصاء السموات إلى أقصاها» (متى ٢٤:٣١).

لاحظ كيف يتباين الملائكة في خدماتهم، ومقدراتهم. وهذا يظهر مما يحملونه؛ فالبعض يحمل الأبواق، والبعض الجامات ، والبعض يقوم بمهمات أخرى ، والكل يشتركون في تنفيذ قضاء اللّه وأيضاً نراهم قادمين من أماكن مختلفة ، فهناك واحد يخرج من المذبح وله السلطان على النار وآخر يجلس على السحاب ، وآخر من الهيكل في السماء. ورابع نراه في قلب الشمس وهو يصرخ لطيور السماء الطائرة في وسط السماء .. «هلمي اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم، لكي تأكلي لحوم ملوك، ولحوم قوّاد، ولحوم خيل والجالسين عليها، ولحوم الكلّ، حرّاً وعبداً وصغيراً وكبيراً» (رؤيا ١٩:١٧).

إنّ الوجود كلّه سوف يتزلزل أمام الملائكة حينما يتدافعون ، في الأزمنة الأخيرة ، لينفّذوا قضاء اللّه ، ذلك لأن سلطانهم يمتد على كل الخليقة ، على الشمس والنجوم ، وعلى المياه ، أمرٌ لم يسبق له مثيل ، سوف يظهر في العالم كما أنبأ الرب بفم أنبيائه... «هوذا يوم الرب قادمٌ قاسياً بسخط وحموّ غضب ، ليجعل الأرض خراباً ، ويبيد منها خطاتها»(أشعياء١٣:٩).

لذلك يقول الربّ:

«أزلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها في سخط ربّ الجنود في حموّ غضبه» (أشعياء ١٣:٩-١٣).

وسوف تكون أقسى درجات الدينونة ، حينما تصب الملائكة جامات الغضب على الإنسانية ، فإذا بالدمامل والقروح العفنة تكسوا البشر ، واذا البحار والأنهار والينابيع تتحول الى دم، وإذا بالشمس تزداد لهيبها ونيرانها ، وإذا بالظلمة تغطي وجه الأرض ، وإذا بنهر الفرات تنشف مياهه ، وإذا بزلزلة عظيمة تهزّ أساسات العالمين.

وفي كل هذه ، في زمان غضب اللّه ، سوف يستخدم الملائكة في تنفيذ قضائه وهم العوامل المساعدة أيضاً في تأسيس ملكوت اللّه على الأرض، من هنا نرى الدور العظيم الذي يقوم به ملائكة اللّه في إتمام مقاصد اللّه ومخطّطاته.

وفي الحصيلة النهائية ، ستعمل هذه الطغمات الناريّة الملائكيّة لتمحق من الوجود **ضدّ المسيح ، مع جيشه** قرب ختام هذا الدهر ، معلنة في اسم المسيح ظفرها ، مظهرة كيف إن جيوش السماء لها سلطانها وقوتها وخطرها ـ جيوش اللّه الناريّة القدّوسة.

نعم ، إن الملائكة سوف تكون لها اليد الكبرى ، في الوصول بدينونة اللّه إلى ذروتها، وفي إتمام مخطّطات اللّه السرمديّة ، وعندها سوف تطهر المسكونة من أدران ساكنيها، ويحل الفرح بالسماء ومن فيها؛ ذلك لأن ساعة الخلاص للأرض قد اقتربت ، وحينما تأتي تلك الساعة حينئذ **يستعلن إلى كماله عمل المسيح الفدائي على الجلجثة** ، وتَبطُل فاعليّة الشيطان ويخمد نشاط جنوده ، وتظهر الأرض الجديدة للوجود ، وتُسمع هتافات القديسين كصوت مياه كثيرة وكصوت رعود هاتفة: «هللويا فإنه قد مَلك الرب الإله القادرُ على كلّ شيء، لنفرح ونتهلّل ونُعطه المجد» (رؤيا١٩:٦).

وما ينطبق على حياتنا الذّاتية ، يصدُق على الوجود ومن فيه حينذاك ، فساعة الدينونة هي ساعة أقصى درجات الخلاص والنعمة، فمن أعماق أعماق الظلمة والخراب ، يحرّر اللّه العالم ويكسر عنه قيوده ليصل به إلى أسمى درجات تمجيده وعصره الذهبيّ.

وبالنسبة للملائكة أيضاً سوف يكون هذا قمة الأفراح السرمديّة حين **يُقَيَّد الشيطان أسيراً** ، ذاكَ الذي خرج من زمرتهم وأصبح حرباً عليهم وسَبَّبَ لهم كل هذه المتاعب ؛ وبحسب ما ورد في سفر الرؤيا: فإنّ دينونات اللّه الأخيرة التي سوف ينفذها بواسطة ملائكة سوف تختم بحادثة فريدة فذّة.

ذلك لأن ملاكاً عظيماً سيظهر ومعه مفتاح وسلسلة كبرى في يده ، إشارة إلى الأنتظار العظيم الذي تحقق على الشيطان وجنوده وقوّاته ، هذا هو مفتاح الجحيم ، مفتاح الهاوية التي لا قرار لها ، التي فيها يقيّد الملاك الشيطان بهذه السلسة الجبّارة (رؤيا ٢٠:١) ولمدّة ألف سنة سيظل الشيطان مقيّداً. ثم بعد نهاية الألف سنة سيحل إلى زمان يسير ليلاقي في النهاية مصيره الأبدي في البحيرة المتقدة بالنّار والكبريت. (رؤيا ٢٠:١٠).

هللويا! لقد تم الأنتصار وَسُحقَ الشيطان! وها إله المجد قد أتم مقاصده بمعونة جنده، حقاً ما أعظم ذلك الإله؟ وما أمجد الرب يسوع ؟ وما أسمى الخدمة التي يقوم بها ملائكة اللّه ؟ في أرضه وفي سماه ؟

«للجالس على العرش ، وللخروف البَرَكة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين ، آمين».

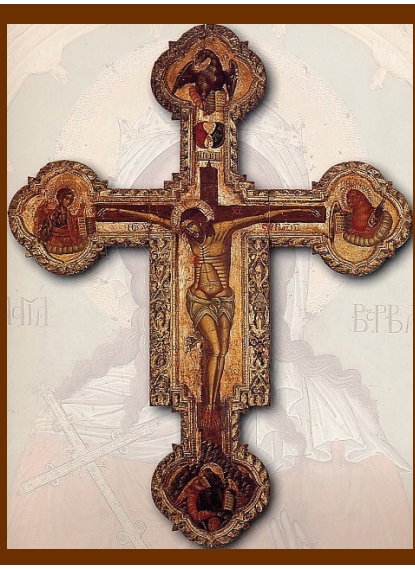

الصليب الكريم المحيي

وظهوره العجيب لقسطنطين الملك الرومي وانتشار المسيحيّة الأرثوذكسيّة في أرجاء الأمبراطوريّة الروميّة

لإبن الحديثي أسقف نصيبين

ألقاها في أواخر القرن الثاني عشر ، وهي من المخطوطات النادرة .

الحمد للّه مؤلف بدائد(١) الموجودات على النظام العجيب. وناظم شرائد(٢) المخلوقات على أحسن الهيئات والترتيب. الذي رقانا بالشريعة المسيحية إلى أعلى مراتب التهذيب. وهدانا إلى ملكوت السماء في أنهج الطرق وأقرب الأساليب. ووعد الطائعين بالنعيم الأبدي في المحل الأفسح الرحيب. وأوعد العاصين بنوازل البلاء وقوارع(٣) التأديب. وخص الأمة المسيحية بالعقول الرواجح والرأي الصليب(٤). وميزهم عن الأضراب(٥) والأكفاء(٦) بالشريعة الفضلية ويمن بركات الصليب. نحمد حمدًا نستمطر به من غمائم رحمته أغزر الديم(٧) والشآبيب(٨). ونشكره شكرًا يحظينا من جلائل(٩) نعمه بأوفر حظ وأجزل نصيب.

أيها المؤمنون ... إن أكلّة(١٠) النصر وبهجة الغنيمة. واللواء(١١) المعقود على الأمة المسيحية. والعلم المنشور على رؤوس الكتائب السليحية(١٢). هو **الصليب المسيحي** المنصوب في مذابح بيعته. واللواء النوري الذي مُدت على أمة السيد المسيح أضواء أشعته. به تأيد الرسل الأطهار على مناضلة الشياطين. وشيدوا فخار الدعوة أمام الملوك والسلاطين. بأياته قهروا فلاسفة اليونان. وبمعجزاته هدموا بيوت الأنداد(١٣) وهياكل الأوثان. به أصحب(١٤) **قسطنطين الملك الرومي** بعد جماحه وإبائه. وحل عن قلبه الزكي عقد عقائد أسلافه وآبائه. ظهرت له على صفحات السماء آيته. تشكلت بالكواكب النورية صورته. أمر بركزه على أسنة(١٥) الرايات والأعلام. وظهرت له به يوم نزال الأعداء بواهر الآيات العظام. تشرفت به أعلامه وبنوده. تبركت بشكله الرباعي جيوشه وجنوده. تشجعت برؤيته همم أنصاره وأعوانه. ودمغ به قمم المتمردين على ملكه وسلطانه. انتشر به في جميع الأفاق صيت دولته. وأرغم به معاطس الأعداء(١٦) حتى أذعنوا لشدة بأسه وسطوته. داس به حمم العقارب الشيطانية. واستقاد به همم الأباعد والأقارب من الأمم اليونانية. وصار به علمًا مشهورًا في دين المسيح. ومصباحًا زاهرًا في **البيعة الأرثوذكسية بالإيمان الصحيح**. حتى افتخرت ممالك اليونان برونق(١٧) دولته. وصارت أيامه غُرة(١٨) على جبين الدهر تزهو بها أمة السيد المسيح وآل دعوته. بنوره أشرقت النصرانية. وامتد على الآفاق شعاع المملكة الروحانية. وهو قبلة الساجدين. ومحراب المتهجّدين(١٩). ودليل المهتدين. وسبيل المجتهدين.

هو الملجأ العاصم من الأذاء. والدوائم(٢٠) الحاسم كوامن الأدواء. هو القلة العاصمة المنعاء. والقبلة التي يتوجه نحوها الدّعاء. بظهوره افتخرت الأمة. وبنوره انحسرت الغمة. هو رائد السائرين في طرق الحياة. وقائد القلوب والأذهان إلى أمصار(٢١) النجاة. به يستأنس الحبساء المؤيدون في وحشة الخلوات. ويتأيد الفضلاء المجتهدون في مواقف الصلوات. به مُثِّلت الحيّة النحاسية حيث كانت حذاء الشعب معلقة. وبه شبهت العصا الموسوية يوم حرب العمالقة. في تقاطيع خطوطه دلالة سرّ التوحيد. وفي النظر إليه تصور الجهاد الملمّ بالنجل الوحيد(٢٢). ما ارتفعت برسمه يد إلا رفعت ردى(٢٣). ولا استنصر به أحد إلا وقمع به عدى. ما اعتصم به ممنوّ بلمم(٢٤) إلا وصرف عنه اللمم. ولا استصرخ به ذو غمم(٢٥) إلا وجلا عن قلبه غمرات الغمم. فكم من سليب العقل عاد به إلى الرصانة. وحائد عن أساليب الفضل انقاد إلى الأمانة. وطال ما تطهر به الموصخون(٢٦). واستظهر باسمه المناصحون. وقام ببركته المقعدون. ودنا بيمن نقائبه الأبعدون. فعظّموا أيها المؤمنون يوم وجوده وظهوره. واجلوا أقذاء(٢٧) الشبهات عن أبصار البصائر(٢٨) بأشعة نوره. واعلموا أنه يوم ظهرت فيه العجائب. واشتهرت أمام الجمع بواهر الآيات الغرائب. وانشر الميت أمام الملكة (القديسة هيلانة). وعُرف أنه صليب مخلص الكل من غمار الهلكة. هو الغرس الذي ازدهرت البركات من أفنانه. وأورقت الخيرات من أغصانه. وكان النجل الحبيب ثمرته. والمختار النجيب زهرته. والجلجلة الأورشليمية أصله وأرومته. والجمجمة الآدمية جذمه(٢٩) وجرثومته(٣٠). وأرض صهيون منبته وقراحه(٣١). ويوسف الحسيب أكاره(٣٢) وفلاحه. الطاف(٣٣) فيها لطائف. واسرار من مَن ورائها طرائف.

ونحن الآن نطلب من مفيد الخلاص. ومخلصنا بشرع الاختصاص. أن يشمل العالم بفائض نعمته. ويكنفهم(٣٤) من مواقع الأذاء برأفته. ويكلأهم من(٣٥) نوازل البلاء برحمته. وينجي الشعوب المسيحية من المكارة واللأواء(٣٦) بقدرته. ويحرس دولة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بكلاءته(٣٧). ويكنف أنصارها وأعوانها بجناح حراسته. ويرغم بالنقم الدوامغ(٣٨) أعداء دولته. ويدخل أقطار الأرض تحت اطلال عدله وسلطان مملكته. بشفاعة السيدة الطاهرة البتول. وصلوة(٣٩) الأثني عشر رسول... آمين.

معاني الكلمات التي وردت في عظة الصليب

١) بدائد : جمع تبدّد ، تفرّق
٢) شرائد: تباعَد
٣) قوارع: تأنيب
٤) الصليب: الصحيح ، الثابت
٥) الاضراب: المثل، الشبيه
٦) الأكفاء: شبيهه ، مناسبٌ له
٧) الديم: الغيوم
٨) الشآبيب: بواكير المطر
٩) جلائل: كثرة
١٠) أكلّة: جمع إكليل
١١) اللواء: العلم
١٢) السليحة: كلمة سريانية، معناها الرسوليّة
١٣) الأنداد: الأعداء بالندّ
١٤) أصحَب: صار صاحباً
١٥) أسنة: رماح
١٦) معاطس: هزيمة
١٧) رونق: روعة ، جمال
١٨) غرّة : بياض الجبين الناصع
١٩) المتهجدون: القائمون بالصلاة ليلاً
٢٠) الدوائم: الدواء الدائم
٢١) أمصار: طرق
٢٢) النجل الوحيد: يسوع المسيح
٢٣) ردى: موت
٢٤) ممنوّ بلمم: المصاب بالجنون
٢٥) غمم: مصيبة
٢٦) الموصخون: الخطاة
٢٧) أقذاء: جمع قذى، في العين
٢٨) البصائر: البصيرة
٢٩) جذمه: أصله
٣٠) جرثومته: أصله ومنبعه
٣١) قراحه : الماء النقيّ
٣٢) أكاره: فلاّحَه
٣٣) الطاف: عطايا
٣٤) يكنفهم: يظلّلهم
٣٥) ويكلأهم من: يبعدهم عن
٣٦) اللأواء: الشدّة والمحنة
٣٧) بكلاءته: خيراته
٣٨) الدوامغ: القويّة
٣٩) صلوة: الخيرات،والعطايا، الجزيلة، الروحيّة والجسدانيّة.

قسطنطين الكبير: ملك ملوك مملكة الممالك

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥٢)

الفصل الخامس:
صموئيل النبي وإحياء الأمة

صموئيل وعودة الشعب الى اللّه:

كانت خدمة صموئيل في نحو سنة ١٠٤٠ ق.م. حيث دعاه اللّه وابتدأ الخبر ينتشر وعلم الناس من أقصى الشمال في دان إلى أقصى الجنوب في بئر سبع إنه نبي الربّ ، وما ان انتهت معركة بن عزر وموت عالي الكاهن حيث انتقلت إليه القيادة الروحية للشعب. وكان صموئيل هو الأمل الوحيد كشعاع يشرق بالأمل وسط ظلمة مدلهمة، وبدأ النبي نهضته الروحية بتوجيه إهتمامه الأول في الإصلاح إلى علاقة الشعب باللّه ودعا الشعب إلى المصفاة حيث كانت شيلوه قد خرّبها الفلسطينيون ، وأزال عبادة البعل والعشتاروت آلهة الكنعانيين ، وهدَم مذابحها تلك التي إنزلق فيها الشعب في فترة القضاة ، وقدّم الشعب إعترافهم بخطاياهم ، ووقف النبيّ العظيم رافعاً يديه بالصلاة عنهم ، وهكذا صارت خطوات ناجحة للرجوع إلى اللّه وتنقية إيمان الشعب.

وبينما كان الشعب مجتمعاً في المصفاة (المصفاة:تقع شمال أورشليم بين جبعة وبيت إيل)، هاجمهم الفلسطينيون هناك ، ولكن الرجوع إلى اللّه والتوبة الحقيقيّة جعلت المعونة الإلهيّة تُسرع لنجدتهم ، فأرعد إلههم العظيم برعدة عظيمة حول أعدائهم اضطربوا منها وتشتّتوا ، لكنهم سرعان ما تجمع شملهم في جبعة ، وهو موقع يسيطر على المدخل الشرقي من خلال جبل بنيامين إلى المرتفعات، وبسبب هذا الموقع المتميز لم يتمكن الإسرائيليون من طردهم إلا بصعوبة شديدة ، فاستمر النضال يشتد ويضعف في فترات متباينة ، خاصة في المرتفعات وفي الشفيلة الفاصلة على الحدود بينهما.

وتتوالى السنوات حتى تمر عشرون سنة كان حينما يتقدم فيها الفلسطينيون على الإسرائيليون أن اللّه يعضد شعبه ، الذي أصبح محتفظاً بالعهد معه ، والمكان الذي حدثت فيه الهزيمة في المرة السابقة يختاره اللّه ليصير مكان النصر الحالي ، ويتقدم الإسرائيليون في إنتصاراتهم ليستولوا على عقرون وجت المدينتين الحكوميتين للفلسطينيين ، وهما اللتان كانتا آمنتين ، وهذا جعل حدود الإسرائيليين آمنة.

وهكذا نجحت قيادة النبي العظيم في إصلاحاته الدينية ، بعد أن جدّد العهد وعاد بالشعب إلى عبادة الإله الواحد، واستمراراً للثمار الروحية نظم مدارس الأنبياء حتى صار الشعب في أفضل حياة روحيّة ، وإضافة لأعماله أتم إصلاحاً قوميّاً شاملاً بقيادته الحكيمة وإنتصاره على الفلسطينيين، وقد قضى النبي العظيم للشعب وهو يتردّد بين مناطق ثلاث هي بيت إيل ، والجلجال، والمصفاة، أما الرامة فكانت هي المركز لهذه المناطق (اصم٧:١٥ – ١٧). وكانت هذه المدن يَهُبّ منها النسيم الروحي في حياة الشعب، بيت إيل مدينة ذكريات أبيهم يعقوب ، والجلجال مركز الإنتصارات وفيها قطعت رأس عجاج العماليقي وفيها توّج أوّل ملوك إسرائيل (١صم١١ :١٤)،كما أنها مدينة ذات أهمية خاصة في تقديم الذبائح (١صم ١٠:١٨) ، وكانت المصفاة مدينة الإنتصار حيث أعانهم اللّه ، والرامة هي مسقط رأس صموئيل وهي تقع في جبل افرايم بالقرب من شيلوه (١صم١:١٩).

ومرّت سنوات مجيدة وشاخ صموئيل وقضى لإسرائيل طوال حياته ، وكان آخر القضاة وأعظمهم ، وإن ثبت أن بنيه ليسوا خَلَفاً صالحاً.

شعراء النصرانيّة في شبه الجزيرة العربيّة

أُمَيَّة بْنُ أبي الصَّلْت ٦٢٤م:

هو أبو القاسم بنُ أبي الصَّلْت الثَّقفيُّ من أهل الطّائف من شعراء الطَّبَقة الأولى. وكان أُميَّةُ من رؤساء ثقيف وفُصَحائهم يتعبَّدُ في الجاهليّة لدين المسيح ويُؤمن بالبعث والقيامة. ويُشد في أثنائه الشِّعْرَ المَليح وأدْركَ الإسلامَ ولَم يُسلِم. ولهُ في الفَخْر:

وَرِثْنَا المَجدَ عَن كُبرا نِزار ... فأوْرَثْنا مآثرنا بَنينا
وَكُنَّا حيثُما عَلمَت مَعَدٌّ ... أقمنا حيثُ ساروا هاربينا
تُخَبِّرُكَ القَبائلُ من مَعَدٍّ ... إذا عَدُّوا سِعايَةَ أوَّلينا
بأنَّا النَّازلونَ بكُلِّ ثَغْرٍ ... وَأنَّا الضَّاربُونَ إذا الْتَقَيْنا
وأنَّا المانعونَ إذا أرَدنا ... وأنَّا العاطفونَ إذا دُعينا
وأنَّا الحاملونَ إذا أناخَت ... خُطوبٌ في العشيرةِ تَبتلينا
وأنَّا الرَّافعون على مَعَدٍّ ... أكُفَّاً في المَكارمِ ما بَقينا
نُشَرِّدُ بالمَخافَة مَن أتانا ... وَيُعطينا المَقادَةَ مَن يَلينا
نَسيرُ بِمعشَرٍ قَوماً لِقَوم ... وَنَدخُلُ دارَ قَومٍ آخَرينا

وحضَر يوماً مَجلسَ بعضِ الرؤساء وبَين يَديه أطباقٌ من الذَّهب فيها وردٌ أبيضُ وأحمرُ فأمرهُ بوَصفها فقال:

كأنَّما الوَردُ الذي نَشْرُهُ ... يَعْبَقُ مِنْ طيبِ مَعانيكا
دماءُ أعدائكَ مَسفوكَةً ... قَد قابَلَتْ بيضَ أياديكا

ومن شعره قوله يمدح ابْنَ جدعان التّمي صَديقَهُ:

خَليلٌ لا يُغَيِّرُهُ صَباحٌ ... عَنِ الخُلاقِ الجَميلِ ولا مَساءُ
وَأرضُكَ كُلُّ مَكرُمَةٍ بَنَتْها ... بَنو تَيمٍ وَأنتَ لَها سَماءُ
إذا أثنَى عَلَيْكَ المَرءُ يَوماً ... كَفاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

قال الليثيّ: لما مرض أُميَّةُ المَرَضَ الذي مات فيه جعل يقول: قَد دَنا أجَلي وهذه المَرضَةُ مَنِيَّتي. فَلَمَّا دَنَت وفاتُهُ أُغميَ عليه قليلا اثمّ أفاقَ وهو يقولُ: لَبَّيكُما لَبَّيكُما ها أنَا ذا لَدَيْكُما. لا مَالَ لي يَفْديني ولا عَشيرَةَ تَحميني. ورَفعَ رأسَهُ يقول:

كُلُّ حَيٍّ وإن تَطاوَلَ دَهراً ... حائِرٌ مَرَّةً إلَى أنْ يَزولا
لَيتَني كُنتُ قَبلَ ما قَدْ بَدا لي ... في قِلالِ الجبالِ أرعَى الوُعولا
إجْعَلِ المَوتَ نُصبَ يَمينكَ واحْذَر ... غَولَةَ الدَّهرِ إنّ للدِّهرِ غُولا

ثُمَّ قضَى نَحبَهُ في قَصرٍ من قصور الطَّائف (أبي زكريا النووي)

الزُّهــد في شعر أُمَيَّة بْنُ أبي الصَّلْت

الجنّة والجحيم

هما طريقان فائزٌ دَخَلَ الجَنّـ ... ـةَ حَفَّت به حَدائِقُها
وَفِرقَةٌ في الجَحيمِ مَع فِرَق الشَّيـ ... ـطانِ يَشقَى بها مُرافِقُها
وَصدَّها للشقاء عَنْ طَلَبِ الجَنّـ ... ـةِ دُنْيا واللهُ ماحِقُها
عَبدٌ دعا نَفْسَهُ فَعاتَبَها ... يَعلَمُ أنّ البَصيرَ رامِقُها
اقْتَرَبَ الوَعْدُ والقُلوبُ إلَى اللّهـ ... ـوِ وحُبُّ الحَياةِ سائقُها
ما رَغْبَةُ النَّفْس في البَقاء وأنْ ... نَحيا قليلاً والمَوتُ لاحقُها
أمامها قائدٌ إليه ويَحْدُو ... ها حَثيثاً إلَيْهِ سائقُها
قَدْ أيْقَنَتْ أنَّها تَصيرُ كَما ... كانَ بَراها بالأمسِ خالقُها
وأنَّ ما جَمَّعَت وأعْجَبَها ... من عيشةٍ مَرَّةً مُفارقُها

عند القضاء

وسيقَ المُجرمون وهمْ عُراةٌ ... إلى ذات المَقامِعِ والنِّكال
فَنادوا وَيْلَنا وَيْلاً طَويلاً ... وَعَجُّوا في سَلاسلها الطِّوال
فَلَيْسوا مَيِّتينَ فَيَستَريحوا ... وَكُلُّهُم بِحَرِّ النَّارِ صال
وَحَلَّ المُتَّقونَ بدارِ صِدقٍ ... وَعَيشٍ ناعمٍ تَحْتَ الظِّلال
لَهُمْ ما يَشتَهونَ وَما تَمَنَّوْا ... مِنَ الأفراحِ فيها والكَمال

الحساب وقت الدينونة العامة

ويومَ موعدهم أن يُحشَروا زُمَراً ... يومَ التغابُنِ إذ لا يَنفَعُ الحَذَرُ
مستوثقينَ مع الدّاعي كأنَّهمُ ... رَجْلُ الجَرادِ زَفَتْهُ الرِّيحُ تَنتشرُ
وَأُبْرِزوا بصَعيدٍ مُستَوٍ جُرُزٍ ... وأُنزِلَ العَرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وَحوسِبوا بالَّذي لَمْ يُحصِه أحَدٌ ... منهم وفي مثلِ ذاك اليومِ مُعتَبَرُ
فَمنهم فَرِحٌ راضٍ بعيشَتِه ... وآخَرونَ عَصَوْا مأواهُم سَقَرُ
يَقولُ خُزَّانُها ما كانَ عندَكُمُ ... ألَم يَكنِ جاءكم من ربِّكم نُذُرُ
قالوا بَلَى فَأطَعْنا سادَةً بَطَروا
وَغَرَّنا طُولُ هذا العيشِ والعُمُرُ

التغابن: الخديعة عند البيع والشراء (يوم الحساب) سَقَر: علم لجهنَّم
نُذُر: رُسُلٌ – المنذرين بقرب الأجل.

الراهب الجرجاني
مع الشيخ عمر الصيني

قال الشيخ عُمر: مررتُ براهب وهو في صومعته فجرى بيني وبينه مُؤانسةٌ. فقلتُ يا راهبُ لمن تَعْبُدُ. فقال: أعبدُ اللّه الذي خلق العَالمَ بقدرته. وألَّف نظامَهُ بحكمته. وقد حوَتْ عظمَتُهُ كُلَّ شيء. لا تبلُغُ الألسُنُ وصفَ قُدرَته. ولا العُقولُ لُـجَّ رَحمَته. لهُ الشُّكْرُ على ما نتَقلَّبُ فيه من نعمته التي صَحَّت بها الأبصارُ. ورَعتْ بها الأسماعُ. ونطَقَت بها الألسُنُ. وسكنَتْ بها العروقُ وامتزَجت بها الطَّبائعُ.

فقُلتُ يا راهبُ ما أفضَلُ الحكمَة. فقالَ: خوفُ اللّه. فقلْتُ: ومَا أكملُ العَقل. قالَ: معرفةُ الإنسان بقدرته. قُلتُ: مَا يُعينُ على التَّخلّص من الدّنيا. قال: أن تجعلَ بقيّـةَ يومكَ انقضاءَ أملَك. فقُلتُ: ومَا حملَك على أن عَقلْتَ على نَفسكَ في هذه الصَّومعَة. فقالَ: لأحبسَ هذا السَّبُعَ عن النَّاس (وأومأ بيده على لسانه). قُلتُ: من أينَ تعيشُ. قالَ: من تدبير اللّطيف الخبير الذي خَلَقَ الرَّحى وهو يأتيها بالطَّحين. قُلْتُ: لمَ لا تنزلُ إلينا وتُخالطنا. فقالَ: لأنَّ الأشياءَ الموبقَةَ بأسرها بينَكُمْ والسّلامَةَ من ذلكَ إنّما تكونُ في الوحْدَة. قُلتُ: وكيفَ صَبرت على الوحدَة. فقال: لوْ ذُقْتَ حَلاوَةَ الوحدَة لاستَوحَشْتَ إليها من نَفسك. قُلتُ: كيفَ لَبستَ السَّواد. فقالَ: لأنّ الدُّنْيَا دارُ مَأتَم وأهلُها في حداد. وإذا حَزنت لَبستُ السَّواد. فقلتُ: كيفَ تَذكُرُ المَوْتَ. فقالَ: مَا أطرفُ طَرفَةَ عينٍ إلاَّ ظَنَنْتُ أنّي متُّ. قُلت ما لنَـا نحنُ نَكرَهُ الموتَ. فقالَ: لإنَّـكُمْ عمَّرتُمْ دُنياكُمْ وأخربتُمْ آخرَتَكُمْ. فَأنتُم تكرَهونَ النُّقْلَةَ من العُمران إلى الخَراب. قُلتُ: يا راهبُ عظْني.

فقال: أبْلَغُ الصِّفات النَّظَرُ إلى محلَّة الأموات. وفي تغيير السَّاعات والآجلات. وإنْ شَيَّعت جَنازَةً فكُنْ كَأنَّكَ المحمولُ مثلَ ذلكَ. ولا تنسَ مَن لا يَنْساكَ. وأحسن سَريرتَكَ. يُحسنُ اللّه علانيّتَك. واعلَمْ أنَّ مَن خافَ اللّه أخافَ منهُ كلَّ شيء. ومَن لم يَخَف اللّهَ خَافَ من كلِّ شيء. واطلُب العلمَ لتعملَ به ولا تطلبهُ للتّباهي أو تُماريَ به السُّفهاءَ. وإيَّاكَ والأهواءَ فإنَّها مُوبقَةٌ. والهَرَبَ الهَرَبَ من الجهل. والهَرَبَ الهَرَبَ ممَّن يمدَحُ الحسنَات فيتجنَّبُها ويذُمُّ السيِّئات فيرتَكبُها. ولا تشربِ المُسكرَ فإنَّ عاجلَتَهُ غَرامةٌ. وعاقبَتَهُ نَدامةٌ. ولا تُجالسْ مَن يُشغلُكَ بالكلام ويُزيِّنَ لكَ الخطأَ ويوقعُكَ في هذه الغُموم. ويَتبرَّأ منكَ ويَنقلبُ عليكَ. ولا تتَشبَّهْ في طَعامكَ وشَرابكَ ولباسكَ بالعُظَماء ولا في مَشيكَ بالجَبابرَة. وكُنْ ممَّنْ يُرجَى خَيْرُه. ولا تَكُنْ ممَّنْ يُخَافُ شرُّهُ. واعلَمْ أنَّ مَنْ أحبَّهُ اللّهُ ابتلاهُ. ومَن صبَرَ رَضيَ اللّه عَنْـهُ. وإذا اعتَلَلْتَ فأكثرمن ذكر اللّه وحَمده وشُكْره. وإيَّاكَ والنَّميمَةَ فإنَّها تَزْرَعُ في القُلوب الضَّغائنَ وتُفرّقُ بين المحبّين. وانظر ما استحسَنتَهُ من غَيرك فامتَثْلهُ لنَفسكَ. ومَا أنْكَرْتَهُ من غَيْركَ فتَجَنَّبهُ. وارْضَ للنَّاس ما تَرضَاهُ لنَفسكَ. فإنَّهُ كَمالُ الوصال والصَّلاح في الدّين والدُّنيا. وقال: إنّي أستودعُكَ للّه وأقْري عليكَ السَّلامَ. ثُمَّ إنَّهُ نَهَضَ إلى صَلاته فَسمعتُهُ يَقولُ: إلهنا تَقَدَّسَ اسمُكَ يَأتي مَلَكُوتُكَ. تَكُونُ مَشيئَتُكَ في السَّماء كذلكَ عَلَى الأرض. أرزُقنَا الكَفَافَ يَوماً بيوم. اغفر لَنَـا خَطايانا وآثـامنا. ولا تُدْخلنا في التَّجارب وخَلِّصنا من إبليسَ لنُسَبِّحَكَ ونُقَدِّسَكَ ونُمَجِّدَكَ إلى دهرِ الدَّاهرين.

ثمَّ جعَلَ يقولُ أيضاً: اللَّهُمَّ إنَّ رحمتَكَ كعَظمَتكَ. اللَّهُمَّ إنَّ نعْمَتَكَ أعظَمُ من رَجائنا. فَصنْعُكَ أفضَـلُ منْ آمالنـا. اللَّهُمَّ إجعلنا شاكرينَ لنعْمائكَ حتَّى تشتَغلَ بذكرك جَوارحُنا. وتَمتَلىء قُلوبُنا. اللَّهُمَّ أعنَّا عَلى أنْ نَحذَرَ منْ سُخطكَ ونَبتغي طاعَتَكَ ورضاكَ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا للعَمَل بما نفوزُ به من مَلَكوتكَ. من أجل أنَّهُ يَنبغي لكَ العزُّ والسُّلطانُ والقُدرَةُ.

قالَ الشيخُ: فاستحسنتُ ذلك منهُ. وسألتُهُ أنْ يَدْعوَ لنا وانصَرَفتُ وأنا مُتَعَجِّبٌ منْ حُسن مَقَاله.

(أسواق الأشواق للبقاعي)

عظة عن الصليب

الصلاة من أجل الأعداء ، محبة وغفران ـ للقديس يوحنا الذهبي الفم

غير أن محبته غير الموصوفة للبشر لم تُرى فى الصليب فقط، بل أيضًا فى كلماته التي تفوّه بها على الصليب. فلتسمع هذه الكلمات. عندما كان على الصليب معرضًا للهزء والسخرية والإهانة قال:«يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤).

رأيت محبة الرب للبشر؟ كان مصلوبًا لكنه صلى من أجل صالبيه، أما هؤلاء فقد كانوا يهزأون به قائلين «إن كنت ابن اللّه فانزل عن الصليب» (مت٢٧: ٤٠). أما هو فلم ينزل عن الصليب إذ هو ابن اللّه، ولأجل هذا جاء لكي يُصلب من أجلنا.

قالوا:«أنزل عن الصليب لنرى ونؤمن بك».أرأيت سفاهة الأقوال وحجج عدم الإيمان. فقد عمل ما هو أعظم من نزوله عن الصليب ولم يؤمنوا، والآن يقولون أنزل عن الصليب لنؤمن بك.

فالقيامة من الأموات والقبر مغلق بالأختام، كانت أعظم من النزول عن الصليب. وإقامة لعازر من القبر بعد أربعة أيام وهو ملفوف بالأكفان، كانت أعظم من النزول عن الصليب.

أرأيت الكلام الهزلي، أرأيت الهَوس المتشامخ. لكن انتبه بشدة أرجوك لكي ترى أن محبة اللّه للبشر هي عظيمة. وأن المسيح اتخذ من اهانتهم له سببًا لكي يصفح عنهم، إذ قال «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». ولم يكتفوا بهذا بل كانوا يقولون « إن كنت ابن اللّه فخلص نفسك» أما هو فقد عمل كل شيء لكي يخلص معيّريه وشاتميه وقال: «أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».

فماذا حدث؟ هل غُفرت لهم خطيتهم، نعم غُفرت خطية كل من أراد أن يتوب. فإنه لو لم يترك لهم خطيتهم لما صار بولس رسولاً، ولو لم يترك لهم خطيتهم لما آمن به فى الحال الثلاثة آلاف والخمسة آلاف، وعشرات الألوف من اليهود بعد ذلك. فأسمع ما كان يقوله التلاميذ لبولس (أع٢١: ٢٠) «أنت ترى أيها الأخ، كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا..».

الاقتداء بالمسيح :

أرجو يا أحبائي أن نقتدي به، نعم نقتدي بالرب، ولنصل من أجل الأعداء. وإن كنت قد نصحتكم بفعل هذا الأمر بالأمس، إلاّ أني أكرر النصح الآن، فطالما أنك عرفت مقدار عظمة هذه الفضيلة، اقتد بسيدك إذن لأنه وهو مصلوب صلى من أجل صالبيه. قد تتساءل: كيف يمكنني الاقتداء بالمسيح؟ أعلم أنك تستطيع ذلك إذ أردت ، فلو لم يكن بإمكانك أن تقتدي به لما قال «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩). وإن لم يكن فى مقدور الإنسان أن يقتدي به، لما قال بولس الرسول «تمثلوا بي كما أنا أيضًا بالمسيح» (١كو١١: ١). وإن لم ترد أن تقتدي بالسيّد ، اقتد بخادمه وأعني استفانوس، الذي كان أول من استشهد، لقد اقتدى بالمسيح. إن الرب وهو مصلوب بين اللصين، قد تشفع إلى الآب من أجل صالبيه، هكذا أستفانوس خادمه الذى كان وسط الراجمين والحجارة تنهال عليه من الجميع فإنه احتمل الرجم ولم يبال بالأوجاع الناجمة عنه وقال «يارب لا تقم لهم هذه الخطية» (أع٧: ٦٠). أرأيت كيف يتكلم الابن؟ أرأيت كيف يصلي الخادم؟ قال الابن «يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» وقال خادمه أستفانوس «يارب لا تقم لهم هذه الخطية». وأعلم أيضًا أنه لم يصلِّ وهو واقف، بل ركع على ركبتيه وصلى بحرارة وخشوع كثير. أتريد أن أُريك إنسانًا آخر صلى صلاة عظيمة من أجل أعدائه؟ أسمع بولس المُطوب يقول «من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة، ثلاث مرات ضربت بالعصي، مرة رجمت، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة، ليلا ونهارًا قضيت في العمق» (٢كو١١: ٢٤–٢٥). ومع هذا قال «فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد» (رو٩: ٣). أتريد أن أريك أيضًا آخرين من العهد القديم لا من العهد الجديد، يفعلون نفس الأمر؟ ويستحقون كل تقدير إذْ أنّ وصية محبة الأعداء لم تكن قد أُعطيت لهم بعد بل كانت عندهم وصية العين بالعين والسن بالسن، ومجازاة الشر بالشر، ولكنهم بلغوا قامة مسلك الرسل، فأسمع ما قاله موسى عندما كان اليهود مزمعين أن يرجموه «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاّ فأمحني من كتابك الذى كتبت» (خر٣٢: ٣٢). أرأيت كيف أن كل واحد من هؤلاء الأبرار كان مهتم بخلاص الآخرين قبل خلاصه؟! ولنسأل أي واحد منهم، إن كنت لم تخطئ، فلماذا تريد أن تشترك معهم فى القصاص؟ وسوف تكون إجابته «لا أشعر مطلقًا بالسعادة عندما يتألم الآخرون».وستجد آخرين فعلوا هكذا؟ وأنا أسوق هذه الأمثلة لكي نُصلح من أنفسنا ولكي نستأصل هذا المرض الخبيث والذى هو **بغضة الأعداء**، من داخلنا.

فالسيد المسيح يقول «يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»، ويقول أستفانوس «يارب لا تقم لهم هذه الخطية»، ويقول بولس الرسول « كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد» ، ويقول موسى «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاّ فأمحني من كتابك الذى كتبت». فقل لي، أي غفران سننال نحن إذا كان السيد وخدامه فى العهدين القديم والجديد، كلهم يحثوننا على الصلاة من أجل الأعداء، بينما نحن نفعل العكس ونصلي ضدهم؟ إن ما أرجوه هو ألاّ تهملوا هذا لأنه بمقدار ما تزداد النماذج التى يجب أن نقتدي بهم، بقدر ذلك يزداد عذابنا إن نحن لم نتمثل بهم.

الصلاة من أجل الأعداء مرحلة أسمى من الصلاة من أجل الأحباء. لأن الثانية لا تكلفنا مثل الأولى: «فإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟» إذا صلينا من أجل الأحباء فلن نكون أفضل من الأمم والعشارين. أما إذا أحببنا الأعداء فإننا نصبح متشبهين باللّه بقدر ما تسمح به طبيعتنا البشرية فإن اللّه «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت٥: ٤٥).

فطالما لدينا أمثلة مما فعله المسيح وأيضًا خدامه، فلنتشبه بهم، ولنقتني هذه الفضيلة، لنكون أهلاً لملكوت السموات، مستعدين دائمًا لنقترب بدالة أكثر وبضمير نقي تمامًا إلى **المائدة المهيبة**، ولنتمتع بما وعدنا به الرب من خيرات بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ومحبته للبشر، الذى له المجد والعزة مع الآب والروح القدس. الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين